الموسوعة الصغيرة

٣٤٣

مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة

تأليف
د. نعمة رحيم العزاوي

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة

١٩٩٠

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

العراق ـ بغداد/اعظمية ص ـ ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣
هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة ٠ « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
ص٠ب٠ ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

مظاهر التطور

في اللغـة العربيـة المعاصـرة

الدكتور

نعمة رحيم العزاوي

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغـداد

المقدمـــة

لقد عرض للعربية المعاصرة من التطور أو التغير ما يدعـو الى تأملـه ، ويستحق أن يتناولـه اللغوي بالوصف والتسـجيل والتصنيف والتعليل • وهـذه المباحث محاولة في هذا الاتجاه ، بل هي الى أن تكون منهجاً لهذا الضرب من البحث اللغوي ، أقرب منها الى الاستقصاء والشمول •

ان التطـور الذي عرض للعربية المعاصـرة كبير وخطير ، وانها لم تعرف في تاريخهـا الطويل عصـراً خطا بمادتها : أصواتاً ومفردات وتراكيب نحو التطور خطوات واسعة مثل هذا العصر ، وهو أمر بات ينـذر بالخطر ، إذا لم يحزم اللغويون أمرهم ، ويقفوا من هذا الجديد وقفة علمية محضة ، لا تشوبها عاطفة، ولا يفسد منهجها تعصب مقيت ، أو تسامح معيب •

لقد كان اللغويـون القدماء أكثر يقظـة ، وأدق

مراقبة للغة عصورهم من لغويي هذا العصر ، فاذا كان أولئك قد واكبوا العربية خطوة خطوة ، وأحصوا كل جديد طرأ عليها ، ومحصوا كل طارىء تسلل اليها ، فان هؤلاء مالوا عن المادة اللغوية التي تعاصرهم ، ولم يخصوها إلا بجهد قليل •

وما هذه الفصول القصيرة إلا دعوة لدرس العربية المعاصرة درساً يشمل عناصرها ، ويستوفي ما عرض لها من تغير أو تطور •

واني لأعترف بأن هذا العمل كبير تنوء به العصبة أولو القدرة ، فضلا عن أن ينهض به لغوي واحد ، ولذا أدعو الى أن يوزع الجهد ، فيذهب فريق لمتابعة التطور الصوتي ، ويتجرد آخر لملاحقة التطور الدلالي في الفعل أو الاسم ، وينفرد غيرهم بمتابعة الصيغ أو التراكيب ، وهكذا ، حتى نحيط بعناصر العربية المعاصرة ، ونفي بمتطلبات درسها • والله ولي التوفيق•

بغداد في ١٤/١/١٩٨٧

الدكتور نعمة رحيم العزاوي

(١)

مفهـوم العربيـة المعاصـــرة

يختلف اللغويون في تحـديد مفهوم (العربيـة المعاصرة) ، كما يختلفون في تسميتها ، فبعضهم يسميها (الفصحى الحديثة) ، وبعضهم يطلق عليها (الفصحى المخففة) ، وهم في ذلك يعترفون بأن عربية اليوم غير عربية الأمس ، وان الأولى وإن كانت استمراراً للثانية ، أو صورة من صورها ، صـورة احتفظت بمجمـوع الخواص الأساسية للغة الأصل ، إنفردت عنها ، وتميزت منها بخواص أخرى جديدة •

وإذا كان اللغويون ينكرون كلمة (الفصحى) لعدم ورودها في اللغة ، فان القياس يقبلها ، وان مسـتويات الأداء القديمة تقضي بها •

فالذي يقرره اللغويون القدامى أن في الكلام ما هو فصيح وما هو أفصح ، وما ذلك إلا لأن المعربين باللغة لم يكونوا على درجة واحدة في سلم الفصاحة ، بل كان بعضهم فصيحاً ، وكان بعضهم الآخر أفصح .

وقد كان هذان المستويان من الأداء اللغوي قائمين في كل عصر ، ففي العصر الجاهلي وجدت لغة (فصحى) مثالية ، ارتضاها النقاد وأعجبوا بها ، وكانت هناك لغة (فصيحة) لا ترتقي الى مستوى الأولى ، ولا تلحق بشأوها . وآية ذلك أننا نقرأ في الموروث من نقد الشعر الجاهلي أن بعض الشعراء أقل فصاحة من بعض، فعدي بن زيد وأبو دؤاد الإيادي وصفا بأن ألفاظهما ليست بنجدية ، وعدي نفسه وصف بأن لسانه قد لان لعيشه في مراكز الأرياف ، وتردده الى منازل الحضر. وبجانب هذين المستويين من الأداء اللغوي ، كان هناك مستوى ثالث يلجأ الناس اليه في التعبير عن شؤونهم اليومية ، وحاجاتهم المعاشية ، ولا يقصدون اليه في مواطن الجد،

أو المناسبات التي تقتضي قول الشعر ، أو ارتجال الخطب ، أو إزجاء الوصايا والأمثال .

وإذا جئنا الى العصر الأموي وجدنا هذه المستويات الادائية الثلاثة ماثلة في كلام أهل ذلك العصر، ووجدنا النقاد يصنفون لغة المنشئين الى (فصحى) و (فصيحة)، ويجعلون للتفريق بينهما مقياسين :

الأول زماني ونعني به أن النقاد نظروا الى لغة العرب المتقدمين على أنها لغة مثالية ، أو (فصحى) ، وقد جعلوا سنة (١٥٠هـ) الحد الزماني الفاصل ، فلغة من عاش قبل هذا التاريخ من سكان الوبر والمدر هي لغة مثالية أو (فصحى) ، تصلح لأن تستنبط منها قوانين اللغة ، وتبنى عليها قواعد العربية .

والثاني مقياس مكاني ونعني به أن النقاد جعلوا لغة الشعراء الذين كانوا ينتمون الى قبائل تسكن سرة الجزيرة ، أو تستوطن كبد الصحراء ، لغة فصحى ، وأما لغة الشعراء الذين سكنوا الثغور ، أو أقاموا مضاربهم

على طرق تعبرها القوافل التجارية ، أو يطرقها الأعاجم، فهي لغة دون (الفصحى) ، أو هي لغة (فصيحة) . وبجانب هذين المستويين هناك مستوى أدائي ثالث ، يُعبر به الناس عما يعرض لهم من شؤون الحياة وأمور المعاش اليومية .

ولكن يحسن بنا أن نشير الى أن المستوى الثالث لم يكن في العصر الجاهلي بعيداً كل البعد عن المستويين الأول والثاني ، وإنما كان قريباً منهما ، لا تفصله عنهما سوى سمات قليلة . ولكن البون قد اتسع بين هذا المستوى والمستويين الآخرين في العصر الأموي ، ثم زادت شقة الخلاف إتساعاً في العصر العباسي والعصور التالية له ، حتى أصبح المستوى الثالث لغة قائمة برأسها ، أطلق عليها (العامية) . وقد احتفظت هذه اللغة بسمات من المستويين الأول والثاني ، وإنفردت عنهما بسمات أخرى ، لعل أهمها كثرة اللحن وإهمال الاعراب ووفرة الدخيل .

وللتمثيل على المستويين الأول والثاني في العصرين الأموي وصدر الدولة العباسية نقول :

إنّ اللغويين يجعلون كلمة (زوج) أفصح من كلمة (زوجة) وحين قيل للأصمعي إنّ ذا الرمة قال :

أذو زوجة في المصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا

قال : ان ذا الرمة أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين . وهذا يعني أن (زوج) كلمة فصحى ، وان (زوجة) كلمة فصيحة .

وكان اللغويون يرون أن (حزنني) كلمة فصحى ، وان (أحزنني) كلمة فصيحة ، وعلى هذا فاللغة الفصحى أو المثالية عندهم أن يقال (حزنني الأمر) ، والفصيحة أن يقال (أحزنني الأمر) .

وظلت العربية في كل عصر محتفظة بهذه المستويات الثلاثة ، فالمستوى المثالي أو (الفصحى) يجدها الناس مدونة في دواوين الشعراء الجاهليين ومن جاراهم

في بعض لغتهم من شعراء العصور التالية ، وفي المعجمات وكتب اللغة ، وأما المستويان الآخران وأعني بهما (الفصيحة) و (العامية) فيجدهما الناس في لغة من يعاصرونهم من الأدباء والعامة •

وحين حاول اللغويون في كل عصر العودة بألسنة الناس وأقلامهم الى اللغة المثالية أو (اللغة الفصحى)، أخفقوا في محاولاتهم ، ووقعوا هم أنفسهم في كثير مما نهوا عنه ، أو فيما سموه بـ (الفصيح) الذي غيره أولى منه ، وأرفع طبقة •

وظلت (الفصحى) في كل عصر ، عدا العصر الجاهلي والأموي ، لغة بعيدة المنال ، تعتصم بألسنة قلة من العلماء واللغويين ، وتلوذ ببطون المعجمات وكتب اللغة ، أما الفصيحة فهي لغة كل عصر ، وان لحقها في كل حقبة من التطور ما تدعو اليه طبيعة تلك الحقبة ، أو تحتمه ظروف التغير الثقافي والحضاري •

وعصرنا الحاضر شأنه في مسألة الاداء اللغوي شأن العصور التي سلفت ، ففيه ثلاث درجات من العربية:

المثالية أو (الفصحى) ، وهـذه قلّ أن تظفر بمن يحسنها ، أو يلتزمها في كتابة أو قول و (الفصيحة) أو (الفصحى المخففة) أو (اللغة العربية المعاصرة) ، ثم (العامية) ، وهي التي تصطنع في مجالات القول غير الجدية •

ولكي نوضح الفرق بين (الفصحى) و(الفصيحة) في كتابة أهل هذا العصر نضرب بعض الأمثلة :

فمن (الفصحى) أن يقال (أعُد فلاناً صديقاً لي) ومن (الفصيحة) أن يقال (أعتبر فلاناً صديقاً لي) • ومن الفصحى أن يقال : ((احمارّ خد الفتاة من الخجل) ومن الفصيحة أن يقال (احمر خد الفتاة من الخجل) لأن (افعالّ) يقال للالوان الطارئة و (افعلّ) يقال للالوان الثابتة التي لا تتحول • ومن الفصحى أن يقال (ثلاثة أشهر وأربعة أبحر) ومن الفصيحة أن يقال (ثلاثة شهور وأربعة بحور) • ومن الفصحى أن يقال (سوّغ فلان الرأي) ومن الفصيحة أن يقال (برر

فلان الرأي) • ومن الفصحى أن يقال (بنو الوطن متآخون) ومن الفصيحة أن يقال (المواطنون متآخون)•

وهكذا فان الفصحى غير الفصيحة ، وأن الثانية هي لغة الأدب المعاصر شعره ونثره ولغة المؤلفات العلمية والكتب الجامعية والمجلات والصحف وما شاكل ذلك من رسائل ووثائق ومدونات • فهي إذاً لغة مكتوبة ، وليس من المبالغة أن نقرر أن هذه اللغة قل أن يتكلم بها المثقفون ، بله غيرهم ، وهم إن حاولوا إنما يكون ذلك في صورة محاضرات جامعية ، أو أحاديث إذاعية أو خطب عامة • وفي هذه المواقف نفسها يندر أن يرسل المتكلم كلامه دون الوقوع في خطأ أو لحن أو تحريف• وينطبق هذا مع الأسف على المتخصصين وغير المتخصصين في العربية وفروعها •

فاللغة العربية المعاصرة التي سندرسها هي اللغة المكتوبة ، أما اللغة المنطوقة فسنهملها لكثرة ما يشيع

فيها من أخطاء ، وما يفسدها من زيغ وإنحراف . وأما خصائص هذه اللغة فهي :

★ المحافظة على الإعراب .

★ عدم إلتزام الأفصح من الصيغ والتراكيب ، وإنما تكتب هذه الصيغ والتراكيب في كثير من الأحيان على الوجه الذي يخالف ما نصت عليه كتب اللغة ، أو ما اقتضته قوانين العربية .

★ كثرة الدخيل والمغرب .

★ التأثر بالأساليب الأعجمية في صياغة الجمل وتأليف التراكيب .

(٢)

مفهوم التطور اللغـوي

ان كلمة التطور تحتاج الى شيء من التوضيـح ، فالدارسون يستخدمون هذه الكلمة في ثلاثـة معـانٍ مختلفة « بحسب وجهة النظر المعينة التي ينطلق منهـا كل فريق منهم ، فهي عند بعضهم تفيد الانتقال من طور الى طور أحسن وأفضل ، على أساس أن اللغـة بهذا الانتقال قد أدت وظيفتها على خير وجه ، فقابلت حاجات الانسان في حياته المتجددة ، ولم تقف جامدة أو عاجزة عن مواكبة الحركة الدائبة في المجتمع الذي يحتضنها .

« وهناك في الجانب الآخر من الصورة رأي يأخذ اتجاهاً مضاداً في هذه القضية ، ذلك هو رأي التقليديين من المشتغلين باللغة ، الذين ينظرون الى مظاهر التطور على أنها نوع من الخطأ ، وحجتهم في ذلك أن هـذه

المظاهر ـ كلها أو بعضها ـ تتضمن بالضرورة خروجاً عن القواعد المرسومة ، والأحكام المحددة التي سجلت في كتب اللغة ، والتي إرتضاها رجال القواعد الموثوق بهم . ومضمون هذا الكلام أن هؤلاء التقليديين جعلوا القواعد الرسمية وحدها أساس الحكم بالصواب والخطأ ، وانهم أهملوا في الوقت نفسه النظر الى الاستعمال الواقعي ، وقيمة هذا الاستعمال في الفصل في هذه المسألة »[1] .

وهذان الرأيان في التطور اللغوي يتسمان بالذاتية، ذلك لأن كلاً منهما يعطي حكمه متأثراً بوجهة نظر خاصة ، وينظر الى الموضوع من جانب واحد دون الجوانب الأخرى[2] .

أما الرأي الثالث فان أصحابه حاولوا أن يتخلصوا من المسحة الذاتية التي طبعت موقفي أصحاب الاتجاهين السابقين ، وأن يفسروا التطور تفسيراً موضوعياً، على أساس من الواقع والحقيقة ، وأن ينظروا اليه على أنه

تغير ، أو شيء ما حدث في اللغة ، في هذه الفترة الزمنية أو تلك ، على هذا المستوى أو ذاك .

لقد آمن أصحاب هذا الاتجاه بأن اللغة . أية لغة . « تنزع الى اتجاهين متقابلين : إتجاه نحو المحافظة التقليدية ، وإتجاه نحو التطور والتغير او التجديد . وهذان الاتجاهان مفروضان فرضاً على اللغة من أصحابها في البيئة اللغوية المعينة . فنحن في حياتنا اللغوية كما هو شأننا في أنواع السلوك الأخرى . محكومون بعادات الآخرين وتقاليدهم . إذ يحاول كل منا محاكاة رفاقه وأبناء بيئته في أساليبهم وطرائق تعبيرهم ، وبذلك يضمن لنفسه مكاناً مؤكداً بينهم . فلا ينعزل عنهم ، أو يبدو شاذاً في نظرهم ، دخيلاً عليهم . ولا شك في أن الأجيال المتلاحقة تكتسب معظم عاداتها اللغوية عن هذا الطريق ، وهذا الطريق نفسه . طريق المحاكاة ، من أقوى العوامل التي تتجه باللغة نحو المحافظة على عناصرها وخصائصها الاصلية . ولكنا

لا نعدم في الوقت نفسه أن نعثر على عوامل أخرى مهمة تدفع باللغة نحو اتجاه مضاد ، هو اتجاهها نحو التطور والتغير »[٣] •

وما دام التطور مفروضاً على اللغة ، ولا بد لأهلها في منعه ، أو وقف تياره ، فقد ذهب أصحاب الاتجاه الثالث الى استقصاء عوامل هذا التطور ، وتعقب آثارها في اللغة ، فأحصوا من ذلك عدداً لا بأس به ، أسموه بقوانين التطور اللغوي التي سنعرض لها بعد قليل ، ثم رأوا بعد ذلك أن على اللغوي المتجرد ، ذي النظرة الموضوعية ، أن يقف من التطور موقفين : الأول موقف وصفي تسجيلي ، مع محاولة ربطه بعوامله ، أو رده الى قوانين التطور التي لا تني تفعل فعلها في اللغة ، وتعمل على نقلها من حال الى حال • والثاني موقف تقويمي ، يعنى بتجديد ما هو خطأ ترفضه اللغة ، ويأباه نظامها الأصيل ، وحقائقها الثابتة الموروثة ، وتحديد ما هو تطور تحتاج اليه اللغة في حقبة من حقب حياتها ، ويسمح به المعهود من قوانينها •

فالذي تجدر الاشارة اليه أن هناك فرقاً بين (الخطأ) و (التطور) ، فكل لغة يعروها مع الزمن شيء من التحول ، وذلك لصلتها الوثيقة بأحوال متكلميها ، والعربية على الرغم من تمتعها بقسط كبير من الاستقرار ، إذا ما قيست الى غيرها من اللغات ، لم تتوقف يد التطوير عن العمل فيها ، ولكن المتزمتين نظروا الى التطور الطبيعي على أنه خطر تجب حماية اللغة منه .

ونحن لا نشك في أن حماية اللغة من أهم واجبات اللغوي ، لأن التفريط فيها ، وفتح الباب على مصراعيه أمام عوامل التغيير ، معناه القضاء عليها . إلا أن الحماية لا تتحقق برفض التطور ، أو بتحجير اللغة ، « وإنما تتم بضرب من المحافظة المعقولة التي تسمح بقدر من التطور إذا كان حسناً ، وقائماً على أسس ومسوغات » فلا بد لمن يتصدى لحماية اللغة أن يعمل على نموها ، وأن يؤمن بأنها كائن حي ، أو أشبه بشجرة نامية ، تحتاج بين الحين والآخر الى تجديد في غذائها ،

وشذيب لما جف من أغصانها ، لتبقى حية سامقة، وتظل قوية ومزدهرة . ولا بد له من « التفريق بين ما هو خطأ وإنحراف ، وما هو توليد وتجديد وتطور. فكلاهما حدث جديد في اللغة ، وتبديل في بعض مستوياتها ، ولكن الخطأ تبديل يخالف خصائص اللغة ، وسنن نموها ، وناموس حياتها وقواعد فطرتها ويخل بنظامها ... وأما التجديد والتطور فهو تبديل وإحداث يجري وفقاً لسننها ، وينساق مع فطرتها ، وينقاد لقواعدها ، ويوافق روحها وخصائصها ، ولا بد له أخيراً من أن يدرك أن اللغة كائن مرموق يستحيل وضعه في وعاء واحد ، أو الحكم عليه ليسير في خط محدد »(٤) .

ان عيب الاتجاهين الأول والثاني في مواجهة التطور اللغوي هو أنهما إتجاهان ذاتيان ـ كما تقدم ـ أي ان أحدهما يقبل التطور على نحو مطلق ، من غير تفريق بين ما هو خطأ صراح ، وتطور طبيعي ، وأما الآخر

فيرفضه رفضاً مطلقاً ، ويعد ضروبه جميعاً من الخطأ الذي تجب حماية اللغة منه ، وهو لذلك يمنع أي دم جديد ينساب في عروق اللغة ، وينفخ فيها الحياة التي تجعلها قادرة على مواكبة العصر ، والوفاء بحاجات المتكلمين بها المتجددة على الدوام .

أما الاتجاه الثالث فقد وصفناه بالموضوعية والعقلانية لأنه يربط التطور بقوانين لغوية لا تني تعمل في اللغة ، أية لغة ، ولا تكف عن إحداث التجديد فيها ، ولأنه لا يتردد في قبول بعض الظواهر التي تعرض للغة ، أو تجد فيها ،إذا كانت مما يوافق روحها، ويستجيب لفطرتها ، وسنن التعبير بها .

فالاتجاه الثالث إذاً يتبع منهجين إثنين ، ولكن باعتبارين مختلفين ، وفي مرحلتين منفصلتين ، دون أن يخلط بعضهما ببعض ، ففي المرحلة الأولى من المنهج يقرر حقيقة التطور تقريراً وصفياً ، يتبعه تعليل يقوم على قوانين التطور ، أو يستند الى عوامل لا يد لأهل اللغة

في منعها ، أو في حماية لغتهم منهـا ، وفي المرحلـة الثانية ، يقوّم هـذا التطور ، ويصدر حكمـه عليه : فيرفض بعضه ، ويقر بعضه الآخر ، استجابة لمصلحـة اللغة ، ورعاية لما يقضي به الواجب ازاءها ، من تفـح عنها ، ومحافظة معقولة عليها .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن « التطور اللغـوي يبدأ على مستوى الفرد أو الأفراد بمعنى أن الذي يبادر بعملية التجديد والتغيير في اللغة إنما هو فرد أو أفراد لم يتفقوا عامدين ، وهذه المرحلة تسمى مرحلة التغير أو الابتداع أو التجـديد ، وتليها مرحـلة أخرى هي مرحلة إنتشار التغير ، فاذا ما سمع الشيء المبتدع فـي عبارة أو عبـارات ، علق بالذهـن ، وترتب على ذلك استعمال الآخرين له ، ونفذ بالتدريج الى نظام اللغة . وهذه المرحلة مرحلة جماعية أو اجتماعية ، وتعتمد في أساسها على القبول الاختياري ، على حين تدعى المرحلة الأولى بالمرحلة الفردية »(٥).

واللغوي الذي يفصل بشأن التطور ، والحكم له بالصحة والقبول ، أو عليه بالخطأ والرفض ، لا بد له من إستشارة جملة أمور، نرتبها على النحو الآتي بحسب أهميتها :

(١) مدى الحاجة الى التطور ، أو الظاهرة اللغوية الجديدة ، فاذا كان باللغة غنى عنها ، فلا داعي لقبولها أو إقرارها .

(٢) إستشارة القواعد التقليدية المسجلة في كتب اللغة ، فقد تعيننا هذه القواعد على تفسير بعض الظواهر أو الحكم لها بالاجازة ، أو عليها بالرفض .

(٣) فان لم يكن في قواعد اللغة الموروثة ما يبيح الأخذ بالظاهرة، أو يهب لها الشرعية نظرنا الى المستوى اللغوي الذي عليه من ابتدع هذه الظاهرة . فليس لكل متكلم الحق في أن يحدث جديداً في اللغة ، وإنما هو حق لكبار المبدعين ، وجهابذة اللغويين ، الذين إذا حادوا عن الموروث ، فانما حيدهم يأتي عن علم بقصوره

في ذلك الموطن عينه ، أو بعجزه عن الوفاء بالمعنى الذي اليه يقصدون •

(٤) فان لم يكن ممكناً أن نعرف مبتدع الظاهرة ، فعلينا أن ننظر في مدى شيوعها ، فالاستعمال الفعلي ، وقبول هذا الاستعمال في الوسط اللغوي المعين لا يقل في أهميته عن القواعد التقليدية من حيث الحكم بالصحة أو الخطأ •

(٣)

مجـالات التطـور اللغوي

يذهب اللغويون المعاصرون الى أن للغـة جوانب شتى ، جديرة بالدرس والنظر ، وهم يصنفـون هـذه الجوانب الى طائفتين : الأولى « مجموعـة القضـايا والمسائل التي تتصل باللغة من قريب أو بعيد ، ولكنها ليست موجهة نحو مادة اللغـة وعناصرها الاساسـية المكونة لها ، وإنما هي مجموعة مباحث تعين في الغالب على فهم الحقائق اللغوية ، وترشد الى تفسيرهـا في الأقل »(٦) • ومن أمثلة هذه المباحث الكلام على أصل اللغة ، والحديث عن الفصائل اللغوية ، واللغة والمجتمع، واللغة واللهجة ، وغير ذلك ، وقد درج الباحثون على أن تكون هذه المباحث مقدمات لمناقشة جوانب الطائفة الثانية •

وأما الطائفة الثانية فنعني بها الجوانب « التي تتصل بجوهر اللغة وحقيقتها ، والتي ترتبط بعناصرها الأساسية المكونة لها ، وهذه هي عبارة عن أصواتها وصيغها وتراكيبها ، ثم مفرداتها ومعاني هذه المفردات وكل ما يتصل بها من قضايا . وهذه الجوانب هي أساس البحث اللغوي وهدفه الحقيقي ، وهي التي تتمتع بتاريخ طويل من البحث والمناقشة ، وهي التي تتجه نحوها أنظار العلماء ، ويعنى بها الدارسون »(٧) .

ولأهمية هذه الجوانب خصص الباحثون لكل منها فرعاً من فروع علم اللغة أو « مستوى معيناً من البحث تكرس جهوده لخدمة هذا الجانب ودراسة مشكلاته ومناقشة حقائقه »(٨) .

ومن هنا ظهر في الدرس اللغوي عدد من مستويات البحث هي علم الأصوات ، والصرف ، والنحو ، وعلم المعنى أو علم الدلالة ، ثم الدراسات المعجمية .

وسنعرض هنا لكل جانب من هذه الجوانب ، لأنها مجال للتطور اللغوي ، أو ميدان تبرز فيه حقائقه وقضاياه .

الصوت اللغوي :

لايضاح طبيعة الصوت اللغوي يجب التفريق بينه وبين الصوت الفيزياوي ، وهذا الأخير هو « إضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج ، ثم في ضعف تدريجي ينتهي الى نقطة الزوال النهائي »(٩). وبمقتضى هذا التعريف للصوت الفيزياوي توجد ثلاثة عناصر تستند اليها عملية الصوت هي :

★ جسم يتذبذب .

★ وسط تنتقل فيه الذبذبات الحاصلة عن الجسم المتذبذب .

★ جسم يتلقى هذه الذبذبات .

أما الصوت اللغوي فانه الأثر السمعي الذي يصدر طواعية عن تلك الأعضاء التي يطلق عليها اسم جهاز النطق ، وهو تمثيل للعناصر الثلاثة التي ألمعنا اليها ، فأعضاء النطق تمثل العنصر الأول ، والأثر السمعي المتعلق بالصوت من حيث إنتقال موجاته في الهواء يمثل العنصر الثاني ، أما أذن المستمع التي تتلقى تلك الذبذبات فانها تشكل العنصر الثالث »[١٠] .

وقد عرّف ابن جني الصوت اللغوي بقوله «إعلم ان الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن إمتداده وإستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً . وتختلف أجراس الحروف بحسب إختلاف مقاطعها ، وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدىء بالصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت فتجد له جرساً ما فان انتقلت عنه راجعاً منه ، أو متجاوزاً له ثم قطعت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول »[١١] .

ويستفاد من تحليل ابن جني أن الهواء الذي يخرج من الرئتين في عملية الزفير يندفع في الفم ، بعد مروره بالحنجرة ويكون في هذه الحالة متصلاً فعلاً ، ثم تعرض له في الحنجرة أو الفم نقاط إرتكاز سماها إبن جني مقاطع أو مخارج تثني الصوت عن إمتداده وإندفاعه ، وحيثما عرض له مقطع ، تولد للصوت جرس خاص ، يختلف عن جرسه إذا تهيأ له مقطع آخر .

وقد جعل إبن جني « مقطع الصوت » مقابلاً « مخرج الحرف » وعني بمقاطع الأصوات مخارج الحروف ولذلك قال « فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً » ، وقال : « وتختلف أجراس الحروف باختلاف مقاطعها » يعني اختلاف مخارجها ، وهذه حقيقة يؤيدها علم الصوت الحديث .

ويبدو أن إبن جني ، وغيره من العلماء العرب يخلطون بين الحرف والصوت ، وهم ليسوا وحدهم يخلطون بينهما فقد ظل كثير من العلماء الاوربيين الى

عهد قريب يسلكون المسلك نفسه[١٢] . وسنعود لبحث ما بين الحرف والصوت من فروق .

مخارج الاصوات (في رأي المحدثين)[١٣] .

١ ـ الحنجرة : ويسمى الصوت الخارج منها صوتاً حنجرياً والأصوات الحنجرية : الهمزة والهاء ويعد بعض المحدثين الهاء صوتاً حلقياً .

٢ ـ الحلق : ويسمى الصوت الخارج منه حلقياً ، والأصوات الحلقية : العين والحاء .

٣ ـ اللهاة : ويسمى الصوت الخارج منها لهوياًوالقاف هو الصوت الوحيد الذي يخرج منها .

٤ ـ الطبق : ويسمى الصوت الخارج منه طبقياً وهو لأصوات الكاف والغين والخاء .

٥ ـ الغار : ويدعى الصوت المنسوب اليه غارياً وهو لأصوات الشين والجيم والياء .

٦ ـ اللثة : ويدعى الصوت الخارج منها لثوياً ، وتعد أصوات اللام والراء والنون لثوية لخروجها من

اللثة ويساعد التجويف الانفي في انتاج صوت النون .
٧ ـ الاسنان واللثة : وتسمى أصوات الدال والضاد والثاء والطاء والزاي والسين والصاد أسنانية لثوية لأن مخرجها الاسنان بمصاحبة اللثة .
٨ ـ الاسنان : وتدعى أصوات الذال والظاء والثاء أسنانية لان مخرجها الاسنان .
٩ ـ الشفة والاسنان : ويسمى صوت الفاء شفوياً اسنانياً لأن مخرجه الشفة بصحبة الاسنان ، ومن المحدثين من يعده شفوياً .
١٠ـ الشفة : ويسمى الصوت الخارج منها شفوياً وهي لأصوات الباء والميم (وهذا الصوت يحدث بمساعدة التجويف الانفي) والواو في مثل ولد وورد .

مخارج الاصوات العربية وصفاتها (عند اللغويين العرب):

كانت الحروف العربية مرتبة على النحو الذي كان معروفاً في اللغات السامية ، وهو الترتيب الأبجدي :
أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ .

ثم تغير هذا الترتيب فرتبت على أساس التشابه في الصورة ، فبدأت بالثلاثيات وهي : ب‍ت‍ث ، ج‍ح‍خ، ثم بالثنائيات وهي : دذ ، رز ، س‍ش ، ص‍ض ، ط‍ظ ، ع‍غ ، ف‍ق ، ثم بالمفردات التي لا أشباه لها « وتركت الهمزة حيث كانت في الترتيب القديم متصدرة الحروف، لتبعد عن الالف التي هي مد أبداً وساكنة أبداً ،والتي لا تكون في الابتداء لسكونها ، والتي اعتمدت على لام قبلها ، (لا) وكان الداعي الى هذا الترتيب هو عملية اعجام الحروف التي كانت ترسم مهملة »[14] .

وحين فكر الخليل « بترتيب جديد ، يقوم على أساس علمي اهتدى الى ترتيب حروف الهجاء على ما لها من إرتكازات في جهاز النطق ، وبدأ بحروف الحلق، لأن مدرجة الحلق هي أولى المدارج ، ثم واصل بحثه في المدارج ينتهي من مدرجة ، فينتقل الى المدرجة التي تليها الى الشفتين »[15] وكان ترتيب الحروف كما يلي :

ع‍ح‍ه‍غ‍خ ــ ق‍ك ــ ج‍ش‍ض ــ ص‍س‍ز ــ ط‍د‍ت ــ ظ‍ذ‍ث ــ ر‍ل‍ن ــ ف‍ب‍م ــ او‍ي‍ء .

وقد أوجز الخليل كلامه على مخارج الأصوات فيما حكى الأزهري عنه فقال : « فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقيه، والقاف والكاف لهويان ، والجيم والشين والضاد شجرية ، والشجر مفرج الفم ، والصاد والسين والزاي اسلية ، لأن مبدأها من أسلة اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان ، والطاء والتاء والدال نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى ، والظاء والذال والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون ذولقية وهي الذلق الواحد أذلق ، وذولق اللسان كذولق السنان والفاء والباء والميم شفوية ، ومرة قال شفهية ، والواو والألف والياء هوائية ، نسب كل حرف الى مدرجته »(١٦) وأما الهمزة عند الخليل فلاحقة بأحرف العلة .

وكان الخليل على سذاجة وسائله في تحديد مخارج الأصوات ، قد وفق توفيقاً عظيماً ووضع يده على كثير من النتائج العلمية الدقيقة التي انتهى اليها المحدثون بالاستعانة بتطور العلم والآلة .

وأما سيبويه فقد رتب الحروف حسب مخارجها على نحو آخر لا يختلف كثيراً عن ترتيب الخليل .

ء ، الالف هـ ع ح غ خ ، ق ك ، ج ش ى ض ، ل ن ر ، ط د ت ، س ص ز ، ظ ذ ث ، ف ب م و .

وكان جمهور اللغويين يرون أن عدد الأصوات العربية تسعة وعشرون صوتاً وأما بعضهم فكان يرى أنها ثمانية وعشرون ويسقط هؤلاء الهمزة منها بزعم أن الهمزة « لا صورة لها تعرف بها ، وإنما يستعار لها صورة الألف ومرة صورة الواو ومرة صورة الياء »(١٩) « والذي يمكن الركون اليه في هذا الباب عد أصوات العربية ثمانية وعشرين صوتاً باسقاط الالف اللينة لا الهمزة ، لأنها باختلاف صورها لا تعدو أن تكون مداً ولا تعتريها الحركات »(٢٠) .

ولاحظ العلماء العرب أن الأصوات العربية لم تكن ذات طبيعة واحدة فصنفوها على وفق طبائعها على النحو الآتي :

المهموس والمجهـور :

قسم اللغويون الأصوات على مهموسة وهي التي يجري معها النفس لضعفها وهي : هـ ، خ ، ك ، ش ، ب ، ص ، ث ، ف وعلى مجهورة وهي التي يتحبس النفس عند النطق بها لقوتها ، وهي الأصوات الباقية :

الشديدة والرخوة :

ووجد اللغويون أن بعض الأصوات يحتاج الى أن يضغط عليه عند النطق به لتمام قوته وهي الأصـوات الشديدة ويجمعها قولك أجدك قطبت . ووجـدوا أن بعضها الآخر يمكن إجراء الصوت معه لضعفهـا وهي الأصـوات الرخـوة وهي هـ ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ض ، ز ، س ، ظ ، ث ، ذ ، ف .

ثم رأوا أن قسماً ثالثاً منها يجمع بين صفة الشديد والرخو وهي : ع ، ر ، ل ، ن ، م (لم نرع) .

الصامتة والصائتة :

وتشمل الأصوات الصامتة (الساكنة) جل أصوات

العربية عدا الالف في نحو (طال) والواو في نحو (يرجو) والياء في (الهادي) التي تسمى صائتة أو أصوات لين طويلة • والى جانب الصائتة الحركات (الفتحة ، الضمة ، الكسرة) وتدعى أصوات لين قصيرة •

الذلاقة والاصمات :

وتشمل صفة الذلاقة الاصوات الآتية : الفاء والباء والميم والراء واللام والنون (فر من لب) ونلاحظ أن بعض هذه الاصوات شفهية وان بعضها الآخر ذلقي ، وذلق اللسان طرفه المستدق ولكنها سميت ذلقية من باب التغليب وأما باقي الأصوات فمصمتة • وقيل في سبب تسميتها بالمصمتة أنها « أصمتت أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها ، لاعتياصها على اللسان ، فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة »(٢١) .

وكان الخليل يقول ان أية « كلمة رباعية أو خماسية معراة من أصوات الذلاقة فلا بد أن تكون مبتدعة أو مخترعة »[٢٢].

المطبقة والمنفتحة :

وقسم اللغويون الأصوات الى مطبقة وهي : ص ض ط ظ ومنفتحة وهي ما عدا ذلك . والاطباق عند المحدثين اتخاذ اللسان شكلا مقعراً عند النطق بهذه الاصوات .

الاستعلاء والاستفال :

وهذا تقسيم آخر للأصوات ، فالأصوات التي يتم معها ارتفاع مؤخرة اللسان الى الحنك الاعلى سميت عند اللغويين القدامى مستعلية وتشمل أصوات خ غ ق ض ط ص ظ . وأما الأصوات الباقية فمستفلة . وذلك لتسفل اللسان عند النطق بها الى الحنك الأسفل.

الصفير :

وأما أصوات الصفير فهي ثلاثة: ص س ز ،وسميت صفيرية لأن لها أصواتاً كصفير الطائر .

التكرار :

وأطلقوه على الراء لما يحصل عند النطق به من ارتعاد طرف اللسان •

التفشي :

وأطلقوه على الشين لانتشار النفس في الفم عند النطق به •

الغنة :

وأطلقوها على الميم والنون لاسهام الخيشوم في النطق بهذين الصوتين •

الصوت والحرف[٢٣] :

(١) الصوت هو الحدث اللغوي المنطوق • أما الحرف فهو صورته المكتوبة ، أو هو رمزه الدال عليه، ولما كانت طبيعة الرمز الاختصار ، فاننا ننطق من الأصوات أكثر مما تدل عليه الرموز الكتابية •

« فالرمز الكتابي هو دلالة مرسومة على مجموعة من الأصوات المنتمية الى فونيم واحد أو وحدة صوتية

واحدة . ومن أمثلة ذلك ان رمز (ن) هو رسم يشير الى قيمة صوتية تتخذ أشكالاً متعددة في اللسان العربي ، بحسب السياقات التي تتضمن صوت (النون) فاذا وقعت بعدها مباشرة (باء) في مثل (عنبر) نطقت (عمبر) ورسمت (عنبر) .

وإذا وقعت بعد النون (فاء) مثل (انف) نطقت النون غير خالصة ، وذلك بوضع الشفة عند الثنايا العليا ، أي كانت النون شفوية اسنانية ، ومع ذلك لا يتغير رمزها الكتابي .

وكذلك الحال في صوت (الجيم) الذي يرسم بصورة واحدة ، وينطق بصور متعددة ، منها الجيم القاهرية ، والجيم المعطشة .

وهناك رمز كتابي يدل على صوت (السين) ورمز آخر يدل على صوت (الصاد) ولكن بعض الصيغ تقتضي رسم صوت السين برمز الصاد في مثل(مسيطر) التي تنطق (مصيطر) و(سطح) التي تنطق (صطح).

فانطباق الرمز الكتابي (الحرف) على الحدث الصوتي أو الحدث اللغوي بوجه عام هو أمل كل لغوي ، ولكن هذا الأمل لا يتحقق لأن الكتابة عاجزة عن ذلك .

(٢) هناك صور كتابية تحتوي على عناصر مكتوبة (حروف) لا تنطق وهناك صور كتابية تقل حروفها عن الأصوات المنطوقة مثل (كتبوا) و (بسم الله) و (هذا) و (داود) وغيرها . كما ان هناك كلمات رسمت فيها الرموز على نحو يخالف المنطوق مثل(رمى) و (سعى) و (ذكرى) التي تنتهي بـ (الف) مرسومة بالياء .

(٣) والكتابة أيضاً أو الحروف تعجز عجزاً مطلقاً عن تسجيل مجموعة من الظواهر الصوتية العامة كالتنغيم في حالات الاستفهام والنفي والانكار والتعجب والتحسر .

نخلص من كل ذلك الى أن الحروف أو (الكتابة) لا تمثل النطق بكل خصائصه وظواهره ، وان الرموز

الكتابية عاجزة في كل حال عن اداء كل العناصر النطقية •

٢ ـ الصرف (الصيغ)

وإذا كان علم الصوت اللغوي ، يبحث في أصغر وحدة في الكلمة وهو الصوت ، فيتناول نشوءه ، ومخارجه وصفاته ، فان الصرف يبحث في الكلمة التي هي مجموعة أصوات ، أو يبحث في جزئها وهو الصوت في حال تركبه مع غيره في كلمة •

ومعنى ذلك ان وقوع علم الصرف هذا الموقع ـ أي يعد علم الأصوات « معناه بالضرورة انه يعتمد في مسائله وقضاياه على نتائج البحث الصوتي ، وهو في الوقت نفسه يخدم النحو ، ويسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها والحق ان الرأي المعتمد عليه في هذا الشأن يعد الصرف مقدمة للنحو ، أو خطوة تمهيدية له »(٢٤)•

ومادة علم الصرف ـ كما تقدم ـ هي « الوحدات الصرفية ، وربما تكون الوحدة الصرفية كلمة أو جزءاً

من كلمة في بدايتها أو وسطها أو نهايتها وقد تكون المغايرة بين الصيغ كالمغايرة بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول ، وقد تتكون الوحدة الصرفية من وحدة صوتية (فونيم) أو أكثر »[٢٥] .

فكل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي الى اختلاف المعاني النحوية هي دراسة صرفية في رأي المحدثين . ومن أمثلته هذه الدراسة : تقسيم الكلمة من حيث الاسمية والفعلية والنظر اليها من حيث الأفراد والتثنية والجمع » أو من حيث التذكير والتأنيث أو الكلام على الشخص (المتكلم والخطاب والغيبة) وأما القدماء فقد عرضوا لتعريف علم الصرف فقال الأشموني: « التصريف في اللغة التغيير ومنه تصريف الرياح أي تغييرها . وأما في الاصطلاح فيطلق على شيئين: الأول تحويل الكلمة الى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كالتصغير والتكسير واسم الفاعل واسم المفعول . والآخر تغيير الكلمة لمعنى طارىء عليها ولكن لغرض

آخر وينحصر في الزيادة والحذف والابدال والقلب والادغام »[٢٦] .

وقال آخر :

التصريف : « في اللغة تغيير مطلق وفي الصناعة (المصطلح) تغيير خاص في بنية الكلمة لغرض معنوي أو لفظي ، فالتغير المعنوي كتغير المفرد الى التثنية والجمع المصحح وذلك بتحويل زيد الى (زيدان) و (زيدون) وتغيير المصدر الى الفعل والوصف،وذلك لتحويل الضرب مثلا الى ضرب وضرب بالتشديد للمبالغة في الفعل وإضطراب لوجود الحركة مع الفعل واضرب وضارب ، ومضروب وكضراب ومضراب وضروب وضريب وضرب للمبالغة في الوصف .

والتغير اللفظي كتغير قول من الأجوف وغزو من الناقص الى قال وغزا بقلب حرف العلة ألفاً لتحركه وانفتاح ما قبله والابدال في اقتت والحذف في قل والادغام في رد ولشبه التصغير والتكسير والنسب

والوقف والامالة بعلم النحو من حيث التعلق بالمركبات ذكرت معه »[27] .

ويبدو أن مسائل الصرف وقضاياه كانت مختلطة بالنحو في التراث اللغوي القديم ولا سيما في أوائل مراحل التأليف في هذين العلمين ويظهر ذلك في كتاب سيبويه الذي ضم عدداً من مستويات الدرس اللغوي إذ اشتمل على مباحث النحو والصوت والصرف وكان الصرف آخر مباحث الكتاب . ثم درج النحاة على أن يجعلوا الصرف في أواخر كتب النحو ، كما فعل سيبويه نفسه وقد علل إبن جني صنيعهم هذا بقوله : « فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة،والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة ، ألا ترى انك إذا قلت : قام بكر ورأيت بكراً ومررت (ببكر) فانك إنماخالفت بين حركات الاعراب لاختلاف العامل ، ولم تعرض لباقي الكلمة ، وإذا كان ذلك كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة

التصريف ، لأن معرفة ذات الشـــيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة ، إلا أن هـــذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً بدىء قبله بمعرفة النحو ثم جيء به بعـــد ليكون الارتياض في النحـــو موطئاً للدخول فيه ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيـــه وعلى تصرف الحال »[٢٨] •

ولا بد من الاشارة هنا الى أن اللغويين المحدثين، يفرقون بين نوعين من المباحث الصرفية الأول وهو ما كان يؤثر في معنى الكلمة ويؤدي الى خدمة التركيب (النحو) ، والثاني وهو ما كان يقتصر على البحـــث في صورة الكلمة أو شكلها مما لا يؤثر في معناهـــا أو يؤثر في التركيب •

واللغويون إذ يفرقون بين المباحث الصرفيـــة على هذا النحو ، إنما يرون قصر الاهتمام على النوع الأول وجعله مقدمة للدرس النحـــوي ، أما النوع الثـــاني فيرون إطراحه أو ضمه الى الدراسات اللغوية التأريخية،

ومن أمثلة هذا النوع البحث في ما يعرض للالفـاظ من حذف أو إعلال أو نحوهما من كل تغيير لا يفيد معنى جديداً •

٣ ـ النحـو (التراكيب) :

ووظيفة هذا العلم البحث في التراكيب وما يميزها من خصائص وهو لذلك لا يقتصـر على البحـث في الاعراب ومشكلاته وإنما عليه أن يتناول أشياء أخرى تخص التركيب كموقعية الالفاظ وعلاقاتها مع غيرهـا في السياق وما الى ذلك من أمور تتصل بنظـم الكلام وتأليفه[٢٩] •

وكان لنحاة العربية اتجاهان في دراسة النحـو : الأول عني بدراسة العلاقات الاعرابية التي تعتري أواخر الكلمات وأصحاب هذا الاتجاه جمهرة النحويين وعلى رأسهم سـيبويه • والاتجاه الثاني قصـد من النحـو شيئاً « أعم وأشمل من النظر في حركات الاعراب »[٣٠] وهو البحث في « قواعد ربط الكلام وتأليف الجمـل

كالتقديم والتأخير والحذف والذكر في الجملة العربية »[٣١] ويمثل هذا الاتجاه عبدالقاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز) .

ولوثاقة علاقة الصرف بالنحو « جمع أكثر العلماء بينهما وأطلقوا عليهما اسماً واحداً وهو grammar أي قواعد اللغة أو ما يفضل بعضهم ترجمته بالنحو ، على أساس أن النحو لا ينفصل عن الصرف ولا يستغني أحدهما عن الآخر »[٣٢].

٤ ـ الدلالة (المعنى) :

ويسميه اللغويون المحدثون « السيماتيك » ومهمته البحث في معاني المفردات ومشكلاتها وبعضهم يوسع دائرة إختصاصه فيذهب الى أن علم الدلالة يقوم بالنظر في معاني المفردات والجمل والعبارات دون تفريق[٣٣] .

وكان هذا العلم شديد الصلة بالمعجمات عند اللغويين القدامى ، ثم استقل على أيدي المحدثين عن

العمل المعجمي ، وإن ظل مرتبطاً به كما ظل مرتبطاً بنتائج فروع الدرس اللغوي الآخر كالصوت والنحو.

ان علم الدلالة بايجاز هو العلم الكفيل بوضع القوانين والقواعد العامة التي تخضع لها معاني الألفاظ « من حيث علاقتها بالظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، ومن حيث ما يطرأ عليها من تغيير كالتوسيع أو التضييق فيها مثلا »(٣٤).

(٤)

قوانين التطـور اللغوي

لقد أشرنا في موضع سابق من هذا البحث الى أن اللغة ـــ كأية ظاهرة اجتماعية ـــ « عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتهـــا وقواعدها ومتنهـــا ودلالاتها ، وتطورها هـــذا لا يجري تبعاً للأهـــــواء والمصادفات ، أو وفقاً لارادة الأفراد ، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة مطـــردة النتائج ، واضحـــة المعـــالم ، محققة الآثار ، لا يد لأحد على وقف عملها ، أو تغيير ما تؤدي اليه . فليس في قدرة افراد أن يوقفوا تطور لغة ما ، ويجعلوها تجمد على وضع خاص ، أو يسيروا بها في غير السنن التي رسمتها لها سنن التطور الطبيعي »[٣٥].

وأما هذه القوانين فسنوجز بعضها فيما يأتي :

١ـ تجاور الاصوات (المماثلة) :

والمراد بها أن يلتقي صوتان مختلفان صفة أو مخرجاً في كلمة دون أن يفصل بينهما صوت لين (حركة)، أو صوت ساكن فيؤدي هذا التجاور الى أن يتأثر أحد الصوتين بالآخر فينقلب الى صوت يجانس الصوت المجاور في الصفة أو في المخرج ، ويحدث ذلك تحقيقاً للانسجام الصوتي ، وتيسيراً لعملية النطق(٣٦) .

وقد تنبه الى هذه الحقيقة بعض الدارسين القدامى، منهم سيبويه الذي عبر عن الدافع الى هذه الظاهرة بقولهم « ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد »(٣٧) .

ومن الامثلة عليها :

أ / تقلب الصاد الساكنة زاياً إذا وقعت بعدها الدال، ذلك لأن الصاد حرف مهموس مطبق ، والدال حرف مجهور منفتح ، فاذا تجاورتا صعب على اللسان تحقيقهما والتصويت بهما ، فيسعى الى التخفيف من الصعوبة الناشئة من تجاورهما

بجعلهما متماثلين في الصفة وذلك بأن ينقلب الصاد زاياً ، والزاي حرف مجهور مثل الدال ، قالوا في (أصدر) : أزدر ، وفي (أصدقاء) أزدقاء .

ب/ وقلبوا السين صاداً إذا جاورت الطاء أو القاف أو الخاء ، ذلك لأن السين حرف مستعل ، والطاء والقاف والخاء حروف مستعلية . يرتفع اللسان بهن الى سقف الفم ، ولذا قالوا : سراط وصراط وسبخة وصبخة ، وسقت وصقت وسوق وصوق وساخط وصاخط .

جـ/ ومن ذلك ما يحدث في صيغة (افتعل) إذا كانت فاؤها زاياً أو دالاً أو ذالاً لأن التاء حرف مهموس، والزاي والدال والذال حروف مجهورة، فاذا انقلبت التاء دالا ، توحدت الصفتان وتجانس الصوتان المتجاوران ، قالوا : ازدان وأصلها ازتان ، وادعى وأصلها ادتعى ، وأدكر بدل ادتكر ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) صاداً أو ضاداً أو

طاء ، فتقلب لها تاؤه طاء ، لأن الطاء تماثل هـذه الأحرف في صفة الاطباق بينما التاء حرف منفتح لا ينسجم معهن ، وينشأ عن وجوده بينهن ثقل في النطق ، وعسر في التصويت ، وتنافر في موسيقى الكلمة لا تقبله الأذن ، ولا يأنس به السمع . قالوا : اضطرب بدل اضترب ، واصطبر بدل اصتبر .

وكما يحدث التماثل بين الأصوات الساكنة ، يحدث بين الحركات أيضاً ، إذ يعمد المتكلم الى توحيد حركتين مختلفتين متجاورتين يؤدي ترك توحيدهما الى ثقل في النطق وتنافر في موسيقى اللفظة ولذلك قالوا : رغيف بدل رغيف ، وشعير بدل شعير ، وقرىء الحمد لله ، والحمد لله . وقد بين إبن جني أن العرب يؤثرون قرب الصوت من الصوت ، حتى دعاهم ذلك الى الاخلال بقواعد الاعراب ، نحو قولهم : الحمد لله بكسر الدال(٣٨)

هـ / ومن ذلك الامالة « وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصـوت وذلك نحو عالـم وكتاب وسعى ومضى ، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم الى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحـة نحـو الكسرة فاملت الالف نحو الياء وكذلك سـعى وقضى ، نحوت بالالف نحـو الياء التي انقلبـت عنها »[٣٩] .

٦- المخالفة (التغاير) :

ومما يتعلق بتجاور الاصوات ظاهرة أخرى يسميها اللغويون المحدثون بـ (المخالفة) وهي عكس التماثل. ومعناها في علم الأصوات اللغوية حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة . ويحدث ذلك إذا كان في الكلمة صوتان مضعفان فيتغير أحدهما الى صوت لين طويل (حرف علة) ، أو الى أحد الأصوات الشبيهة بأصـوات اللين وهي الـلام والنون والميـم والـراء[٤٠] .

وغاية المخالفة (تحقيق السهولة في النطق وتقليل الجهد العضلي ، ذلك ان النطق بالصوت المضعف يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو قلب أحد الصوتين الى صوت لين أو صوت من الأصوات التي برهنت الدراسة الصوتية الحديثة على وجود شبه بينها وبين أصوات اللين وهي الأصوات الاربعة السابقة : اللام والميم والنون والراء)[41].

وقد فطن سيبويه لهذه الظاهرة وعقد لها باباً في كتابه سماه «باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف»[42] .. ومثل ذلك بـ (تسريت وتظنيت وتقصيت) وهي من تسرر وتظنن وتقصص . وفي كتب اللغة : وترعرند أي غليظ في موضع عرد ونظيره الترنج وهو الاترج[43] .

وفي عامية أهل الاندلس كما رسمها الزبيدي في كتابه لحن العوام : (كرناسة) بدل (كراسة) و (ضارة المرأة) بدل (ضرة المرأة) و (عوش) الطائر بدل (عش)[44] .

٦- القياس الخاطىء :

وقد عرف القدماء هذه الظاهرة وسموها بالتوهم أو الحمل أو القياس الخاطىء ، قال سيبويه : « فأما قولهم مصائب فانه غلط منهم ، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعيلة ، وإنما هي مفعلة »(٤٥).

وجاء عن إبن هشام ان « رضي عدوها بـ (على) حملا على سخط ، قاله الكسائي »(٤٦).

وجاء في المزهر « كان الفراء يجيز كسر النون في شتان تشبيهاً بـ (سيان) وهو خطأ بالاجماع . فإن قيل: الفراء ثقة ولعله سمعه ، فالجواب : إن كان الفراء قاله قياساً فقد أخطأ القياس ، وإن كان سمعه من عربي فان الغلط على ذلك العربي ، لأنه خالف سائر العرب ، وأتى بلغة مرغوب عنها »(٤٧).

ويذكر إبن الجوزي أن عامة بغداد توهمت أن (سراويل) وهي مفردة في الفارسية ، جمع فاشتقت لها مفرداً فقالوا : (سروال) قياساً على مفردات ما جمع على وزن (فعاليل)(٤٨) .

ب المكاني :

وهي ظاهرة تتمثل في تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الاصلي على الذوق اللغوي ، ومن أمثلة هذه الظاهرة قولهم (شاكي السلاح) بدل (شائك السلاح) ، وقولهم : (جرف هار) بدل (جرف هائر) ، وقولهم : (جبذ) بدل (جذب) وإن عد بعضهم أن ليس هناك قلب في هاتين الكلمتين وإنما هما لغتان عند البصريين(٤٩) .

٥ ـ السهولة والتيسير :

يذهب اللغويون المحدثون الى أن : اللغة تميل في تطورها نحو السهولة والتيسير فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة ، وتستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً ، كما أنها تحاول أن تتفادى التفريعات المعقدة والانظمة المختلفة للظاهرة الواحدة »(٥٠).

ومن الامثله على التطور اللغوي الذي يحصل بدافع السهولة والتيسير أن الحجازيين يتخلصون من الهمز فيقلبونه (الفاً) أو (واواً) أو (ياء) وذلك لأن صوت الهمز صوت عسير النطق فهو يتم بانحباس الهواء خلف الاوتار الصوتية ثم انفراج هذه الأوتار فجأة . وهذه عملية تحتاج الى جهد عضلي كبير. وقد تخلصت معظم اللهجات العربية الحديثة من الهمزة .

ومن الأمثلة على ذلك ميل اللهجات الحديثة الى توحيد علامات التأنيث الثلاث في علامة واحدة هي (التاء) فالعامة تقول : (حمرة) بدل (حمراء) ، و(حبلة) بدل (حبلى) و (سلمة) بدل (سلمى) .

٦- الابدال :

ونعني به إبدال صوت من آخر إذا تقاربا في المخرج أو الصفة . قال إبن فارس : « ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ، ويقولون:

مدحه ومدهه ، وفرس رفل ورفن وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء »[٥١] .

٧ـ التخلص من التقاء الساكنين :

وللتخلص من تجاور ساكنين يميل الناس في كلامهم الى تحريك عين الكلمة بحركة قد تنسجم مع حركة الحرف الاول اقتصاداً في الجهد العضلي . ولذلك يمكن تفسير هذا الضرب من التطور اللغوي بقانون السهولة والتيسير المذكور آنفاً .

ومن أمثلة هذه الظاهرة قولهم : (قصر) بدل (قصر) و (فطر) بدل (فطر) و(ذكر) بدل (ذكر) و(بكر) بدل (بكر) .

٨ـ التطور الدلالي :

ونعني به تطور دلالة الكلمة ، وتغير معناها وأهم مظاهر التطور الدلالي :

أ / تخصيص الدلالة : مثل كلمة (الحج) التي كانت تعني القصد الى معظم ، ثم تخصصت دلالتها بالقصد الى بيت الله الحرام في وقت معلوم لأداء شعائر معلومة . وكلمة (الصلاة) التي كانت قبل الاسلام تعني مطلق الدعاء ، ثم تخصصت بعد الاسلام فصارت تعني العبادة المعروفة ، وكلمة (العيش) التي تخصصت في اللهجة المصرية بالدلالة على الخبز .

ب/ تعميم الدلالة : مثل اطلاق (البأس) على كل شدة وهي في الأصل تعني (الحرب) و(الرائد) كانت تعني طالب الكلأ ثم صارت تطلق على كل طالب حاجة و (القافلة) التي كانت تقال للرفقة العائدة من سفرتها من (قفل) بمعنى رجع ، ثم صارت تطلق على الرفقة الذاهبة أو العائدة .والمصريون اليوم يطلقون (البحر) على النهر والبحر .

جـ/ تغير مجال الاستعمال : وهو ما يسمى بالمجاز أي انتقال دلالة الكلمة لعلاقة بين المدلولين ،والعلاقة

ضربان : علاقة مشابهة وهو ما يدعى بالاستعارة وعلاقه غير المشابهة في المجاز المرسل •

ومن أمثلته استعمال (الوغى) بمعنى (الحرب) وأصلها اختلاط الأصوات في الحرب •

والتطور الدلالي يحدث بعوامل عدة منها عوامل مقصودة كقيام المجامع اللغوية بخلع دلالات جديدة على بعض الالفاظ عند وجود حاجة تتطلب ذلك •

ومنها عوامل غير مقصودة فقد يحدث التطور بسبب سوء الفهم ، كما تطورت دلالة (الكفء) فصارت تعني (القدير) وهي في الأصل بمعنى النظير والمثيل •

كما تطورت كلمة (عتيد) وهي تعني (الحاضر) الى معنى (القديم) وذلك بسبب سوء فهمها • وهناك عامل يؤدي الى تطور دلالة الالفاظ ، هو عامل (الابتذال) • فقد تكون الكلمة في عصر ما دالة على معنى مرموق ثم ينحط معناها في عصر آخر • من ذلك كلمة (حاجب) التي كانت تعني (رئيس الوزراء) في الدولة الاندلسية ثم ابتذلت دلالتها فيما بعد • وكلمة

(أفندي) التي كانت تدل عند المصريين ـ في القرن التاسع عشر ـ على ذي المركز المرموق ثم انحط قدرها فيما بعد ، فصارت تطلق على الشخص ذي المنزلة الهابطة .. وقد تبتذل الكلمة لشيوعها على ألسنة العوام ، مثل كلمة (خش) بمعنى (دخل) وكلمة (مش) بمعنى (مسح) اللتين تجنبتهما اللغة الفصيحة ، بسبب ابتذالهما وشيوعهما في العامية .

(٥)

مظـاهر التطـور

أولا : الأصوات

قلنا أن اللغة في عصورها المتعاقبة قد لحق بها تغير ملموس ، وعلى الرغم من أن علماء العربية قد تجاهلوا هذه الحقيقة عند تدوين قواعد العربية وقوانينها ،نجد أن بعضهم أشار الى التطور الذي أصاب العربيـة على أنه ضرب من الخطـأ أو الانحـراف ، يجب طرحـه وإهماله •

وقلنا انهم قصروا الاستشهاد في مسـائل النحو والصرف على كلام الذين عاشوا قبل منتصف القـرن الثاني ، شعوراً منهم بأن العربية بعد هذا التاريخ قـد مسها تغير ، ولحق بها إنحـراف عن صورتها المثاليـة القديمة • وكان هذا المسلك غير محمود ، لأنهم بفعلتهم

هذه قد أوصدوا أبواب البحث في وجوه الدارسين من بعدهم ، فظلت العربية تتغير وتتطور دون أن يسجل هذا التطور ، أو أن يحفل به أحد من الدارسين .

نعم ، لقد تناول بعض اللغويين هذا التطور بالدرس والمناقشة ، ولكن لا على أنه تطور أو تغير ، وإنما بوصفه لحناً وخطأً ، كما يظهر ذلك بوضوح في تلك الآثار الكثيرة المعروفة بكتب اللحن . وهذه الكتب كلها أو جلها نهجت نهجاً متشابهاً من حيث مادة البحث وطريقة التناول ، فقد ركزت جهودها على الألفاظ ومعانيها ، وصورها الاشتقاقية ، وما الى ذلك من مسائل لا تعدو ميادين الصرف والثروة اللفظية ، ولم يعن منها بالأساليب أو التراكيب وطرائق نظم الكلام إلا آثار محدودة كدرة الغواص للحريري المتوفى سنة (٥١٤هـ) وشرحها للشهاب الخفاجي المتوفى (١٠٦٩هـ) .

وحين ورث أهل هذا العصر المادة اللغوية ، أعملوا فيها يد التطوير والتغيير ، شأنهم في ذلك شأن أسلافهم

الذين عاشوا في عصور خلت ، وسنشير الى أهم مظاهر هذا التطور ، مبتدئين بالاشارة الى أهم مظاهره في أصغر وحدة لغوية ، هي الصوت .

اننا في بحثنا هذا سندرس العربية المعاصرة المكتوبة والأصوات في هذا المستوى من العربية لم تتعرض للتطور ، أو لم يلحقها تغير ملحوظ .

ان معرفتنا بالصوت العربي « في عصوره الغابرة معرفة ناقصة ، من وجهة النظر العلمية ، فمعظم ماعرفناه عنه في تلك الفترات مستمد من الأقوال والتصريحات التي سجلها علماء اللغة في كتبهم وآثارهم ، وهذه المادة المسجلة كتابة لا تكفي وحدها في مجال الدراسات الصوتية ، إذ أن أساس الدرس الصوتي هو السماع الفعلي المباشر ، وفقدان هذا العامل يهدد الدراسة بالاخفاق والتخبط .

« ففي مجال معرفة أصوات العربية في عصورها القديمة ، يمكن الاعتماد على آراء علماء اللغة القدماء

كسيبويه وابن جني وأمثالهما . يزاد على ذلك المجيدون من القراء ، فهؤلاء يمكن الاعتماد عليهم في شيء من الحذر والحيطة في القاء الضوء على أصوات اللغة العربية في مراحلها السابقة ، على أساس أنهم توارثوا القراءة الجيدة بالمشافهة الفعلية ، فهم بذلك يعدّون من أصدق الناس تصويراً لنطق هذه اللغة ، ومن أدقهم توضيحاً لخواصها الصوتية . وهؤلاء القراء أنفسهم مرجع ذو أهمية بالغة في تعرف أصوات العربية المعاصرة ، إذ أنهم من أجود الناس نطقاً لها ، ومن أحسنهم رعاية لنظمها الصوتية »(٥٢).

وأما غير القراء من أهل هذا العصر فان الاصوات العربية قد نالها على ألسنتهم شيء من التطور ، ذلك لأن التطور الصوتي حتمي في كل لغة ، شأنه في ذلك شأن التطور الذي يلحق مستويات اللغة الأخرى ، « واللغة التي تتوقف عن التطور الصوتي لا بد أن تكون قد فارقت الحياة .. فالاختلاف الخلقي في أعضاء النطق

بين الاجيال المتباعدة ، وأخطاء السمع ، وتعامل الأصوات في الالفاظ المستحدثة بالاشتقاق ، أو فيما تجاور من الالفاظ نتيجة التأليف ، واختلاف العوامل النفسية والبيئية ، كل ذلك يؤثر بفاعلية ذاتية في أصوات اللغة ، من غير أن يكون أهل تلك اللغة قاصدين تغيير أصواتها»(٥٣) .

وقد أجرى بعض اللغويين المعاصرين تجارب وبحوثاً صوتية ، أسفرت عن عدد من الحقائق خلاصتها ان العربية المعاصرة المنطوقة قد أصابها التطور الصوتي على مستوى الأصوات المفردة ، وعلى مستوى الكلمة. منها أن (الضاد) في العربية المعاصرة تختلف عن (ضاد) العربية القديمة ، و (الطاء) القديمة صوت مجهور تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به ، على حين أنه مهموس في نطقه الحالي ، أي ان الأوتار الصوتية لا تتذبذب عند نطقه . وكذلك (القاف) في العربية المعاصرة مخالفة لما وصفها به القدماء من علماء اللغة

كسيبويه وابن جني ، فقد كانت مجهورة وهي اليــوم مهموسة . وأما (الجيم) فنطقها الفصيح قائم عندنا في العراق وفي عدد من البلاد العربية ، وهي على ما وصفها علماء العربية حرف شــجري مجهور شــديد ، إلا أن الصوت بدأ يدخله التغير في النطق الفصيح عند كثير من أبناء العرب ، إذ أشرب صوت (الشين) وهما من مخرج واحد .

من هذا كله نستطيع القول أن هناك اتجاهاً واضحاً نحو التطور الصوتي في اللغة العربية المعاصرة ، وان هذا الاتجاه مستمر في طريقه الى مدى لا نعرف نهايته. ومما يؤيد هذا الاستمرار ميل الكثير من المثقفين في بعض الاقطار العربية الى ترقيق أصوات التفخيم وهي (الصاد) و (الضاد) و (الطاء) و (الظاء) ، والى نطق (الثاء) كما لو كانت (سيناً) و (الذال) كما لو كانت (زاياً) و (الظاء) كما لو كانت (زاياً). وقد انعكس التطور في هذه الأصوات على كتابة بعض

الادباء في مصر خاصة ، فنقرأ في آثار هؤلاء (زلم) بدل (ظلم) ، و (زوق) بدل (ذوق) و (سوب) بدل (ثوب) • كما تميل النساء المثقفات الى ترقيق (الراء) و (اللام) في غير مواضع الترقيق •

وهناك أصوات مهـــددة بالانقراض في عربيتنا المعاصرة ، إذ انها تنطق وتكتب على نحو مخطوء ،وهي (همزة الوصل) التي تلفظ (همــزة قطع) كقولهــم (الإبتدائية) بدل (الابتدائية) و (الإحتفال) بـــدل (الاحتفال) و (الإستقبال) بدل (الاستقبال) •

وتلفظ (ياء النسب) وتكتب غير مشددة كمـــا لو كانت (ياء) المتكلم ، فهم يقولون (عربي) و(مصري) كمـــا يقولون (كتابي) و(قلمي) ، وكان الفصيـــح أن يقولوا (عربيّ) و (مصريّ) بتشديد الياء في كل منهما •

والحروف الشمسية تلفظ حروفاً قمرية ، كقولهم (التفاح) و (الربيع) و (الزائر) بإظهار اللام في كل من هذه الكلمات •

ثانياً : الصيــغ

١ــ الفعل :

يعد الفعل ركناً مهماً في الجملة العربية ، وقــد عني به القدماء عناية كبيــرة ، وبحثوا قضاياه بحثــاً مسهباً ، غير أن مباحثهم عن الفعل جاءت مفرقــة على أبواب النحو ، مبثوثة في تضاعيف مسائله ، فلم ينهد أحد منهم ــ فيما أعلم ــ الى تجريد كتاب برأسه لهذا العنصر المهم من عناصر الجملة العربية .

أما المحدثون فقد أدركوا أهمية الفعل ، وتبينوا ضرورة خصه بمباحث مستقلة ، فأفرد له بعضهم كتباً خاصة ، وتوسع بعضهم الآخــر في معالجة مسائله في فصول مطولة .

وإذا كان الفعل في العربية القديمة قد نال حظــاً وافياً من عناية القدماء والمحدثين ، فان الفعل في العربية المعاصرة ما زال بعيداً من تناول الدارسين ، فلم يظفر

منهم بعناية كافية ، ولم يفز بوقفة تستحق الذكر .

وإذا تذكرنا أن التطور قسمان : صحيح مقبول ، وخطأ مرفوض ، أدركنا أن استعمال الفعل في لغتنا العربية الراهنة يحتاج الى فحص ومراجعة ، تنفي عنه ما هو خطأ مخالف لقواعد العربية ، وتقر ما هو صحيح ، يجري على أصول اللغة ، ويساير نظامها .

لقد سار الفعل في العربية المعاصرة في اتجاهات عديدة ، فكان بعض هذه الاتجاهات صحيحاً مقبولا ، وكان بعضها الآخر مخطوءاً ، لا معدى لنا عن التنبيه عليه ، ورد الأقلام والألسنة فيه الى الصحيح الفصيح .

ولكي تفي هذا الموضوع حقه ، رأينا أن نعرض لاتجاهات تطور الفعل بايجاز ، وأن نكتفي بالتمثيل على كل اتجاه بأمثلة قليلة ، تاركين التوسع فيها لمن يروم بعدنا أن يحيط ويستقصي . ولا أخفي عن القارىء أن الموضوع خصب ممتع ، وأن من الخير أن يتجه اليه طلبة الدراسات العليا ، فيخدموا لغتنا

الكريمة ، ويقيموا الدليل على يقظة اللغوي المعاصر ، ومتابعة حركة تطور اللغة .

آ ــ صياغته :

ان التطور الذي طرأ على صياغة بعض الافعال والمشتقات منها في العربية المعاصرة ، ناجم عن الجهل بصياغتها الصحيحة التي نصت عليها المعجمات ، وجاء به المأثور من كلام العرب . ومن الأمثلة على هذا الضرب من ضروب التطور الذي أصاب الفعل في لغة المحدثين :

- قولهم (تأسست المدرسة) والصواب (أسست) بالبناء للمجهول ، فصيغة (تفعل) للمطاوعة، وليس هذا الموضع موضعها .
- وقولهم (احتار في الأمر) والصواب (حار يحار).
- وقولهم (حرقته النار) و (قنبلة حارقة) والصواب (أحرقته) و (قنبلة محرقة) .
- وقولهم (أحنى رأسه) والصواب (حنى رأسه) .

● وقولهم (اختص بالكيمياء) والصواب (تخصص بالكيمياء) فهو (متخصص بها) وأما (اختص) فيعني (أفرد) تقول (اختصه بكذا) أي أفرده .

● وقولهم (اندحر العدو) والصواب (دُحر العدو) بالبناء للمجهول .

● وقولهم (اندهش فلان) والصواب (دُهِش) بالبناء للمجهول .

● وقوله (داهمه المرض) والصواب (دَهمه) ، لأنه (فاعل) للمشاركة وليس هذا موضعها ، فالدهم من جهة واحدة .

● وقولهم (ارتاح من عناء السفر) والصواب (استراح) .

● وقولهم (استلم الجائزة) والصواب (تسلمها) .

● وقولهم (شُلت يد فلان) بالبناء للمجهول والصواب (شَلَت) بفتح الشين .

● وقولهم (أنهكته الحمى) فهو مُنهك والصواب (نهكته) فهو (منهوك) .

● وقولهم (صحت السماء) فهي (صاحية) والصواب (أصحت السماء) • فهي (صحّو") أو (مصحية) والأولى فصحى والثانية فصيحة •

● وقولهم (اصطحب فلان زوجه في السفر) والصواب (استصحبها) • لأن (استفعل) هنا تعني (اتخذ) مثل (استوزر) اتخذ وزيراً ، و (استبدل) اتخذ بدلاً و (استصحب) اتخذ صاحباً• أما (اصطحب) فهو فعل اشتراك يقال (اصطحب الرجلان وتصاحبا واصطحب القوم أي صحب بعضهم بعضا) •

● وقولهم (حتم الله الصوم) فهو محتّم والصواب (حتم من باب ضرب فهو محتوم أو حتم) أو (تحتّم) •

● وقولهم (تجوّل الرجل) و (بائع متجول) والصواب (جال الرجل فهو جائل) أو (جوّل) أو (مجوّل) •

● وقولهم (أعاقه المرض عن الحضور) والصواب (عاقه) فالفعل ثلاثي ، ومضارعه (يعوق)•

- وقولهم (تعطش فلان للقاء صديقه) والأحسن (عطش) لأن (تعطش) تعني تكلف العطش .

- وقولهم (أفسح له المجال) والصواب (فسح له المجال) .

- وقولهم (أناط به المسؤولية) والصواب (ناط به المسؤولية) ومضارعة (ينوط) لأن الفعل ثلاثي والمصدر (نَوْط) وليس (إناطة) .

- وقولهم (هاجمه العدو) والصواب (هجم عليه العدو) لأن (فاعل) فعل اشتراك يصدر عن جهتين أو أكثر منهما كأن تقول (هاجم فلان وفلان العدو).

- وقولهم (أوقف فلان سيارته) والصواب (وَقف فلان سيارته) لأن الفعل ثلاثي متعد . ولذا ليس صحيحاً أن يقال (سعيت لإيقاف العمل بكذا) بدلا من (سعيت لوقف العمل) .

ب ـ دلالته :

لقد تطورت دلالات أفعال كثيرة في لغة المحدثين وانقسم اللغويون ازاء هذا التطور على فريقين : فريق يرتضيه ، وآخر يرفضه ويصمه بالخطأ • ولست هنا بحيث أرجح رأياً على رأي ، أو أنصر فريقاً على فريق ـ كما فعلت في كلامي على الصياغة ـ ولكني أشير الى أننا نقبل التطور الدلالي الذي جرى به الاستعمال، إذا صدر عن الأدباء وأرباب العلوم والفنون، ونرفضه إذا صدر عن اللغوي المتخصص ، الذي ينبغي له أن يتحرى الأفصح ، وينفر عنه ، وبهذا المنهج نضمن للغة نموها ونقاءها في آن واحد ، ونتيح لها أن تكون سهلة على المتكلمين بها عامة ، طيعة في أيديهم ، وعرة عزيزة المنال على الخاصة منهم ، تقتضيهم بذل الجهد ، وتسومهم إنفاق الوقت ، بحثاً عن الأفصح ، والتماساً للأنقى •

ان هذا المنهج يجعل الراجح المقطوع بصحته من الاستعمالات اللغوية يعايش المرجوح الذي تشوبه هذه

الشائبة أو تلك . وواضح ان الأخذ بأحد هذين الوجهين دون سواه ، يضر اللغة . فالتشدد مع غير اللغوي يحجر على الناس الواسع ، والتسامح مع اللغوي ، يجعلنا نفرط بالأفصح ، ونقضي عليه بأن يبقى دفين المعجمات .

فما سأعرض له هنا من أمثلة التطور الدلالي الذي لحق بعض الافعال في لغة المحدثين ، إنما هو من قبيل اللفت الى هذه الظاهرة ، والدعوة الى استقصائها وتسجيلها .

● يقولون : احتج على قوله بدلا من استنكر قوله، والفعل في أصله يعني أتى بالحجة أو البرهان .

● يقولون : رضخ لمشيئة بدلا من عَنَا لمشيئة أو خضع لها . و (رضخ) في أصل وضعه اللغوي يعني فيما يعني (كسر) . يقال : رضخ النوى والحصى وغيرها من اليابس كسرها .

● يقولون : شجب أعمال فلان القذرة بدلاً من جَدَبَ أعماله أي عابها وذمها . و (شجب) تعني في

أصل وضعها (حزن) يقال شجب الرجل : حزن أو هلك، و(شجبه) أهلكه أو حزنه •

● يقولون : شحت البضاعة في السوق بدلاً من قلت • و (شحّ) في أصلها اللغوي تعني (بخل) يقال : شحّ الرجل يشح بكسر الشين •

● يقولون : صادق المجلس على المشروع بدلا من أقر المجلس المشروع • أما (صادق) فتعني أصلا (اتخذ صديقاً) •

● ويقولون : طبّق فلان القاعدة بدلا من (اتبع القاعدة) • أما (طبق) فلها معان منها (طبّق الشيء) عمّ •

● ويقولون : طبّعت الدولة الفلانية علاقاتها بالآخرين ،، وأصل الفعل (طبّع) يعني (الترويض) و (التذليل) يقال (طبّع المهرَ) أي روّضه وذلّله •

● يقولون : غطّى المحاضر موضوعه ، وغطّت الصحافة المناسبة بدلا من (استوفى) ، وواضح وجه التطور الدلالي الذي أصاب هذا الفعل •

● ويقولون : تفانى فلان في خدمة وطنه بدلا من (يفنى فلان في خدمة وطنه) ، و (تفانى) من أفعال الاشتراك في العربية فلا يصدر إلا من جهتين يقال : تفانى القوم أي أفنى بعضهم بعضا .

● ويقولون : كبّده عناء أو خسارة مقابل حمّله عناء أو خسارة . أما (كبّد) فتستعمل أصلا على سبيل المجاز في نحو قولنا (كبّدت الشمسُ السماءَ) أي صارت في كبدها ، أي في وَسْطها . ومثل ذلك قولهم (تكبّد فلان عناء في سفره) بدلا من (كابد) . و (تكبّد) تعني فيما تعني على سبيل المجاز ما تعني (كبّد) .

● ويقولون : حدّ من أثره مقابل (قلل أثره) أما (حدّ) فمعناه منع ومنه (الحدّاد) يقال للسجّان لأنه يمنع .

● ويقولون : تنازل فلان عن حقه بدلا من نزل عن حقه . و (تنازل) فعل اشتراك ، معناه النزول الى القتال بين اثنين أو أكثر . يقال : نازل فلان فلاناً في الحرب ، وتنازل الفريقان تنازلا ونزالا ومنازلة .

● ويقولون : نوّه الناقد بأخطاء الكتاب بدلا من ذكرها . والفعل (نوّه) يعني في أصل وضعه اللغوي مدح ، وأشاد ، يقال (نوّه به) رفع ذكره ومدحه . وفي حديث عمر (أنا أول من نوّه بالعرب أي رفع ذكرهم) .

جـ ــ دقته :

لقد أصاب العربية في عصور الانحطاط مرض العموم والغموض والابهام ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة ، فغدت مترادفة . وكان اللغويون أيام ازدهار اللغة يعنون بالنص على الفروق بين الألفاظ التي يظن تقاربها أو ترادفها ، فألفوا في ذلك مؤلفات خاصة ككتاب (الفروق) لأبي هلال العسكري ، وأبواب الفروق في كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة ، والقسم الأول من كتاب (فقه اللغة) للثعالبي ، و (المخصص) لابن سيدة .

وقد كان كتّاب العربية في العصور الزاهرة يحرصون على دقة التعبير ، ووضع الالفاظ في مواضعها

ومن هؤلاء الجاحظ الذي نعى على بعض معاصريه أنهم استعملوا بعض المفردات في غير ما وضعت له من معان ، كاستعمالهم (الجوع) في موضع (السغب) والأول يراد به الحاجة الى الطعام في حال عدم القدرة على الحصول عليه ، ووضعهم (المطر) موضع (الغيث) ولم يرد الأول في القرآن إلا في موضع العقاب .

وأما كتّاب العربية في هذا العصر فقد أخلّوا بالدقة ، وجانبوا اللفظ الدال ، فاستعملوا الخاص في موضع العام ، وأحلّوا العام محل الخاص ،وكان الأولى بهم أن يتحروا الدقة ، وهم يعيشون في عصر نضجت فيه العلوم ، وارتقت أساليب التفكير ، فمست الحاجة الى دقة التعبير ، وتحديد المعاني .

ان دقة التعبير والتخصيص سبيل من سبل تكوين الاسلوب العلمي الواضح، ولا يمكن أن تكون اللغة البعيدة عن الدقة، المتصفة بالعموم والابهام أداة للتعبير عن الفكر العلمي الدقيق ، ولا بد من التقابل في الخصائص بين التعبير والتفكير(٥٤) .

والتخصيص اللغوي والدقة في التعبير أداة لا بدّ منها للأديب ، شاعراً كان أو ناثراً ، لتصوير دقائق الأشياء ، وإبرازها من جوانبها الخاصة المتميزة ، وصفاتها المنفردة ، وللتعبير عن الانفعالات النفسية العابرة ، والمشاعر المتميزة والعواطف في أخص صفاتها، وفي ألوانها الخاصة ، وفروقها الدقيقة وأجزائها المحددة . ان ذلك كله يحتاج اليه الأديب في الوصف والقصة وفي الشعر العاطفي والأدب الوجداني والأدب الموضوعي(٥٥) .

وتمتاز العربية بدقة تعبيرها ، والقدرة على تمييز الأنواع المتباينة ، والأحوال المختلفة ، سواء في ذلك الامور الحسية والمعنوية .

ففي مجال الفعل نجد مثلا أن (مشى) عام و(درج) للصبي و(حبا) للرضيع ، و(خطر) للشاب و(دلف) للشيخ ، أي مشى رويداً بخطا متقاربة ، و(رسف) للمقيد . ومن أنواع المشي اختال وتبختر وتخلّج وتهادى وتأود.

أما كتّابنا اليوم فلا يكادون يعرفون أويستعملون غير الفعل (مشى) •

و(نظر) عام و(رمقه) نظر اليه بمجامع عينيه و(لحظه) نظر اليه من جانب أذنه ، و(لمحه) نظر اليه بعجلة و(حدجه) نظر اليه شزراً أي نظر العداوة ،و(استشرفه) نظر اليه واضعاً يديه على حاجبيه من الشمس و(تصفح الكتاب أو الحساب) نظر فيه ليكشف صحيحه من سقيمه •

وكتّابنا المعاصرون لا يكاودن يستعملون إلا الفعل (نظر) • ومن أمثلة الدقة والعموم في الفعل العربي اننا نقول اليوم (زرت المريض) والفعل (عدت) أدق ، وألصق بهذا المجال ونقول (زرته ليلاً) والفعل (طرقته) أدق وأولى بالتعبير عن هذا المعنى ونقول (أتمنى لك الموفقية) والفعل (أرجو) أدق ، لأن التمني لما لا يدرك أو لما يلحق بالمستحيل •

ان بنا إذاً حاجة الى بعث اللفظ الدقيق في لغتنا ، وإحياء الفروق بين الألفاظ لتكون لدينا لغة تصلح

لأن تكون أداة لنهضتنا العلمية والأدبيــة ، ووســيلة لتكوين التفكير السليم الدقيق(٥٦) •

د ــ طرافته :

في اللغة ، أية لغة ، ألفاظ مبتذلة وأخرى طريفة ، ونعني بالمبتذلة الألفاظ التي كثر دورانها على الألسنة، حتى غاض ماؤها ، وفقدت ما لها من بريق ، وأصبحت مما يتحاماه الكتّاب الكبار ، ويعافه ذوو الأســاليب الرفيعة •

وفي العربيــة المعاصرة أفعــال لاكتها الألســن ، وتعاورتها الأقلام حتى ابتذلت ، فصار خليقاً بالمنشئين أن يحيوا بدلا منها أفعالا تمتاز بالطرافة والدقة •

فـ (تقارض) فلان وفلان الثناء أو التحيــة فعــل طريف ، وأما (تبادل) ففعل مبتذل •

و (انتحل) فلان الرأي أو الفكرة فعل طريف وأما (اعتنق) ففعل مبتذل •

و (استُهتِر) بالشيء ــ بالبناء للمجهول ــ فعل

طريف وأما (أولع) به ففعل لا حظ له من طرافة .

هـ ـ تعديه ولزومه :

وهذه ظاهـرة أخرى من ظواهر تطـور الفعل في العربية المعاصرة ، فقد يكون الفعل لازماً ولكن المحدثين يعدونه ، وقد يكون متعدياً فيجعله المحدثون لازمـاً ، وقد يكون متعدياً لمفعولين فيجعله المحدثون متعـدياً لواحد .

فمن أمثلة الفعل اللازم الذي يعديه المحدثون :

● قولهم : أنف الكذب والصواب أنف من الكذب.

● وقولهم : أحاطه بعنايته ونحيطكم علماً بكـذا ، والفعل لازم يقال : أحاط بهم العدو ، ويحيط بالشيء علماً . أما الثلاثي فمتعـد نقول : حاطه الله بعنايتـه يحوطه حَوطاً وحياطة .

● وقولهم : احتاج مالاً كثيراً والصواب احتاج الى مال كثير .

● وقولهم : عاش فلان المحنة والصواب عاش فلان في المحنة .

● وقولهم : كشف فلان حقيقة الأمر والصواب كشف فلان عن حقيقة الأمر .

● وقولهم : لعب فلان الكرة والصواب لعب فلان بالكرة .

● وقولهم : أمعن النظر في الموضوع والصواب أمعن في النظر في الموضوع .

● وقولهم : أفاض فلان القول والصواب أفاض فلان في القول أي اندفع فيه .

ومن أمثلة المتعدي الذي يجعله المحدثون لازماً :

● قولهم : أكد على ضرورة الحضور والصواب أكد ضرورة الحضور .

● قولهم : باشر فلان في عمله والصواب باشر فلان عمله .

● وقولهم : بيّن بأن الأمر سهل والصواب بيّن أن الأمر سهل .

● وقولهم : حاز على الشهادة والصواب حاز الشهادة .

● وقولهم : حج الى بيت الله الحرام والصواب حج بيت الله الحرام ، يحجه حجاً ، أي قصده .

● وقولهم : حدا به الى السفر والصواب حداه على السفر .

● وقولهم : تحرى عن الأمر والصواب تحرى الأمر .

● وقولهم : خشي منه والصواب خشيه .

● وقولهم : أدمن على الشرب والصواب أدمن الشرب .

● وقولهم : داس على الشيء والصواب داس الشيء

● وقولهم : تداولوا في الموضوع والصواب تداولوا الموضوع .

● وقولهم : دخل الى المدرسة والصواب دخل المدرسة .

● وقولهم : لم يرق له هذا الأمر والصواب لم يرقه هذا الأمر .

● وقولهم : ساد على قومه والصواب ساد قومه .

● وقولهم : اعتاد فلان على السهر والصواب اعتاد فلان السهر .

● وقولهم : عانى فلان من الألم والصواب عانى فلان الألم .

● وقولهم : أعلن عن بدء العمل والصواب أعلن بدء العمل .

ومن أمثلة الفعل المتعدي لمفعولين فيجعله المحدثون متعدياً لمفعول واحد :

● قولهم : حرمه من حقه والصواب حرمه حقه .

● وقولهم : خولني بتسلم الكتاب والصواب خولني تسلم الكتاب .

● وقولهم : زودني بالكتاب والصواب زودني الكتاب .

● وقولهم : أعار الكتاب لفلان والصواب أعار فلاناً الكتاب .

● وقولهم : عيّره بكذا والصواب عيّره كذا .

● وقولهم : سلب منه حقه والصواب سلبه حقه .

● وقولهم : أعطيت الكتاب لفلان والصواب أعطيت فلاناً الكتاب .

● وقولهم : كلفني فلان بالعمل والصواب كلفني فلان العمل .

● وقولهم : أخبرت فلاناً بالأمر والصواب أخبرت فلاناً الأمر .

وقد يكون متعدياً لمفعول فيجعلونه متعدياً لمفعولين فيقولون : (شاركه تجارته) والصواب (شاركه في تجارته) و (وهبته مالاً) والصواب (وهبت له مالاً) .

و ـ استعماله مع حروف الجر :

وهذه ظاهرة أخرى جديرة بالدراسة ، وهي استعمال الفعل في العربية المعاصرة مع غير ما يجب له من حروف الجر :

● من ذلك قولهم : لا يؤبه به والصواب لا يؤبه له .

● وقولهم : أثر عليه الحزن والصواب أثر فيه الحزن .

● وقولهم : أذن له بالسفر والصواب أذن له في السفر ، أما أذِن به فمعناه : علم به .

● وقولهم: أسف لفراقه والصواب أسف على فراقه.

● وقولهم : ينبغي عليك الاجتهاد والصواب ينبغي لك الاجتهاد .

● وقولهم : تجرد عن الغرض والصواب تجرد من الغرض .

● وقولهم : أجاب على السؤال والصواب أجاب عن السؤال .

● وقولهم : خلط الشيء مع آخر والصواب خلط الشيء بآخر .

● وقولهم : زاد عددهم عن ثلاثة والصواب زاد عددهم على ثلاثة .

● وقولهم : استند على القانون والصواب استند الى القانون .

● وقولهم : اختلط مع الناس والصواب اختلط بالناس .

● وقولهم : اختلفوا على الأمر والصواب اختلفوا في الأمر .

● وقولهم : تضلع في العلم والصواب تضلع من العلم .

● وقولهم : اكترث بالأمر والصواب اكترث له .

● وقولهم : نتج عنه كذا والصواب نتج منه كذا .

● وقولهم : سخر فلان به والصواب سخر فلان منه .

● وقولهم : حذق في الفن ومهر به والصواب حذق به ومهر فيه .

● وقولهم : هزىء منه والصواب هزىء به .

● وقولهم : شك بالأمر والصواب شك في الأمر .

● وقولهم : فكّر بالموضوع والصواب فكّر في الموضوع .

● وقولهم : نظر للشيء والصواب نظر الى الشيء .

● وقولهم : تكلم عن الشيء والصواب تكلـم على الشيء •

● وقولهم : امتاز على فلان بكذا والصواب امتـاز من فلان بكذا •

● وقولهم : عوضني عن كـذا والصواب عوضنـي من كذا •

● وقولهم : نمّ الأمر عن كذا والصواب نمّ الأمر على كذا •

● وقولهم : بَعُد عن الصواب والأفصح بَعُد من الصواب •

● وقولهم : وفقه الله الى الخـير والصواب وفقه الله للخير •

● وقولهم : استمر بالعمل أو فيه والصواب اسـتمر على العمل •

● وقولهم : تردد على المكتبة والصواب تردد اليها، أي جاءها المرة بعد الأخرى•

ز ـ صيغتا (افتعل) و (تفاعل) :

الذي يراقب استعمالات هاتين الصيغتين يجدها خطأ :

● فهم يقولون : تبارى فلان مع فلان والصواب (تبارى فلان وفلان) أو (بارى فلان فلاناً) لأن الفعل للمشاركة التي تصدر عن جهتين أو أكثر .

● ويقولون : اجتمع زيد مع المدير والصواب اجتمع زيد والمدير .

● ويقولون : ينسجم هذا مع ذاك والصواب ينسجم هذا وذاك .

● ويقولون : يتساءل المرء عن هذا والصواب يسأل المرء عن هذا ، أو يتساءل فلان وفلان أي يسأل أحدهما الآخر أو يتساءل الناس .

● ويقولون : اشترك خالد مع صديقه والصواب اشترك خالد وصديقه .

● ويقولون : يتعامل فلان مع الموضوع بجد ، والصواب يعامل فلان الموضوع بجد .

● ويقولون : يتعارض العمل مع القانون،والصواب يعارض العمل القانون أو يتعارض العمل والقانون .

● ويقولون : يتناسب هذا العمل مع القانون والصواب يناسب هذا العمل القانون . أو يتناسب هذا العمل والقانون .

● ويقولون : تكلم الموظف مع المدير والصواب كلّم الموظف المدير .

● ويقولون : اتفق زيد مع أخيه والصواب اتفق زيد وأخوه .

ان المعاصرين يستعملون الظرف (مع) استعمالاً خاطئاً في كثير من المواطن ، لعل أهمها استعماله مع الفعل الدال على المشاركة .

ح ــ بناء الفعل للمجهول والمعلوم :

يبدو أن صيغة الفعل المبني للمجهول أخذت تنحسر من كتابة بعض المثقفين والاعلاميين ، وتحل محلها صيغة جديدة تسربت في لغتنا المعاصرة من الآثار المترجمة . ويبدو أيضاً أن الفعل المبني للمجهول لم

ينحسر من العربية الفصيحة فحسب ، وإنما سبق له ان انحسر من لغه العامة ، وحلت محله صيغة (انفعل) ، فالعوام لا يقولون (عُرف) و (فُهم) بضم الأول وكسر الثاني ، وإنما يقولون (انعرف) و (انفهم) .

لقد حل محل صيغة الفعل المبني للمجهول تعبير جديد ، فيه حشو وإطالة ، فالمعاصرون يقولون :

● تم افتتاح المعرض والصواب (افتتح المعرض).

● وتمت مفاتحة الشركة والصواب (فوتحت الشركة) .

● وجرى في اللقاء بحث العلاقات والصواب (بحثت العلاقات في اللقاء) .

● وقد يعمدون الى مثل هذه التعبيرات والفاعل معروف ، فيقولون :

● تم افتتاح المعرض من قبل فلان والصواب (افتتح فلان المعرض) .

ومما يتصل بهذا الموضوع أن المعاصرين يستعملون الفعل (قام) في غير معنى الشروع ، فيقولون (قامت

طائراتنا بالتحليق) وهم يريدون (حلقت طائراتنــا) ، ويقولون (قام فلان بتوزيع الجوائز) والصواب (وزع فلان الجوائز) .

ط ــ استعمال الفعل بعلاقات جديدة :

وهذه ظاهرة جديدة عــرض لها بعض اللغــويين بالتسجيل ، وأشار الى أنها تسربت في العربية المعاصرة بفعل الترجمة ، غير أني أرى أنها ما زالت تحتــاج الى فضل درس واستقصاء . والأمثلة على هــذه الظاهرة كثيرة ، منها :

- قولهم : (أخذ بنظر الاعتبار) .
- وقولهم : (دفع الثمن غالياً).
- وقولهم : (هو يسهر على المصلحة العامة).
- وقولهم : (طرح المسألة على بساط البحث).
- وقولهم : (أظهر مرونة) .
- وقولهم : (كرّس حياته لكذا) .
- وقولهم : (توترت العلاقات) .

ي ـ نفي الفعل :

ومما تسفر عنه مراقبة أساليب المعاصرين تشخيص ظاهرة مهمة ، هي أن بعض المعاصرين لا يعرفون نفي الجملة الفعلية ، فهم يضعون أداة موضع أداة ،ويلحقون كلمات لا تعرفها اللغة الفصيحة بالجملة الفعلية ، يقصدون بها توكيد النفي . فمن أمثلة وضعهم أداة نفي مكان أخرى :

- قولهم : (سوف لا أسافر) والصواب (لن أسافر).
- وقولهم : (لم يسافر بعد) والصواب (لما يسافر).
- وقولهم : (لم ترسل أوراقه حتى الآن) والصواب (لما ترسل أوراقه) .

والمعاصرون لا يفرقون بين (لم) و (ما) ، فهم يحسبون أن (ما ذهب) مثل (لم يذهب) . والحقيقة ان (ما ذهب) نفي غير مؤكد ، وأما (لم يذهب) فهو نفي مؤكد . وقد استدل بعض الباحثين على أن النفي بـ (لم) أوكد منه بـ (ما) بأمور منها أن العرب تقول

(لم ينجح) لمن يقول (قد نجح) وتقول (ما نجح) لمن يقول (نجح) ، أي انهم يؤكدون النفي حين يكون أصل الخبر مؤكداً • ومنها أن (ما) تأتي مع لفظ القسم، لأن نفيها يحتاج الى توكيده بقسم فهم يقولون (والله ما ذهب) ، ولكن (لم) لا تأتي مع لفظ القسم ، كأن بنفيها غنى عن أن يؤكد بقسم أو غيره • وقد يكون من المفيد أن أذكر هنا أن (لم) تستتبع جزم المضارع بعدها ، والجزم قطع وحسم ، وفيه نلمح أن النفي بـ (لم) مؤكد •

وهم يحسبون أن (لا يقرأ زيد) مثل (ما يقرأ زيد) في حين أن (لا) في الجملة الاولى تنفي الزمن الحاضر والمستقبل و (ما) تنفي الزمن الحاضر فقط •

ومن أمثلة الحاقهم بالجملة الفعلية المنفية كلمات لا تعرفها العربية قولهم (لم يحضر إطلاقاً) و (لم يفهم مطلقاً) • والصواب (لم يحضر قط) أو (لم يفهم البتة) •

تلك هي أهم الظواهـر التي برزت في الجملـة الفعلية المعاصرة ، وهي ظواهـر تستحق الدراسـة والفحص ، وما عرضت له في هذه المحاضرات من أمثلة على هـذه الظواهـر لم يكـن على سبيل الحصـر والاستقصاء ، وإنما هو من باب رسم المنهج ، ووضع الخطـة التي تلائم دراسة هـذا الموضوع ، وتكفـل الاحاطة بابعـاده ، وتنير السبيل لمن سيندب نفسـه لمعالجته من شبابنا الدارسين •

٢ ـ الاسم :

أ ـ صياغته : لقد عرض لصياغة الاسـم تطـور ملحوظ في العربية المعاصرة ، فقد حرفت صياغة بعض الاسماء ، وخرجت من وزن لآخر ، وسنورد هنا بعض الأمثلـة :

- من ذلك قولهم : (نظر جديّ) مقابل (نظر جاد)
- وقولهم : (أظهر جديةً في العمل) مقابل (أظهر جداً في العمل) •

● وقولهم : (من كل حَدْب وصوب) والصواب (من كل حَدَب وصوب) بفتح الحاء والدال ، جاء في القرآن الكريم (وهم من كل حَدَب ينسلون) .

● وقولهم : (كان فارس الحَلَبة) بفتحتين والصواب (كان فارس الحَلْبة) بفتح وسكون ، أما (الحَلَبَة) فجمع (حالب) كما نقول : (كاتب كتبة) و (كاسب كَسَبَة) و (وارث وَرَثَة).

● وقولهم : (الحَلَقة الدراسية) بفتحتين أيضاً والصواب (حَلْقَة دراسية) بسكون اللام . أما (الحَلَقة) فجمع (حالق) أي الذي يحلق رأسه أو لحيته .

● وقولهم : (حفل خطوبة) والصواب (حفل خطبة) بكسر الخاء .

● وقولهم : (خطة الكتاب سديدة) بكسر الخاء والصواب بضمها ، ولا تكسر الخاء إلا إذا كانت الخطة على الأرض ، وجمعها خطط بكسر الخاء .

● وقولهم : (المريض في حالــة خطيرة والصــواب (خطرة) لأن (الخطير) ذو الشأن أو المنزلة .

● وقولهم (خصوبة الارض) والصواب (خِصْب الأرض) .

● وقولهم (لون داكن) والصواب (لون أدكــن) لأنه من الوصف الذي على وزن (افعل) و (فعلاء) مأخوذ من (الدُكْنَة) .

● وقولهم (اســتقبلني بالترحــاب) والصــواب (بالترحيب) .

● وقولهم (أمر رئيسي وأمور رئيسية) والصواب (أمر رئيس وأمور رئيسة) .

● وقولهم (كان عملــه مُرضيــاً وكانت طريقتــه مرضية) والصواب (كان عمله مَرْضيّاً وكانت طريقته مَرْضيّة) لأن العرب لا تصف الأشياء وما يجــري مجراها بالمُرضي ، وإنما كانوا يقولــون (أرضــاني فلان) ولا يقولون (أرضاني الشيء) ، وحين فسرت

(راضية) في قوله تعالى (عيشة راضية) فسرت بـ (مرضية) لا (مُرْضية) .

● وقولهم : تناول سُحوره وفُطوره والصواب تناول سَحوره وفَطوره بفتح السين والفاء . ومن المفيد أن نذكر ان وجبات الطعام كلها مفتوحة الأوائل (فَطور ، غَداء ، عَشاء ، سَحور) .

● وقولهم : (شريعة سمحاء) والصواب (شريعة سمحة) لأن هذا الوصف ليس من باب افعل فعلاء .

● وقولهم (هو شغوف بالعلم) والصواب (هو مشغوف به) .

● وقوله : (سرت في المدينة اشاعة) والصواب (سرت في المدينة شائعة).

● وقولهم : (وقع في الشِّراك) والصواب (وقع في الشَرَك) بفتحتين .

● وقولهم : (لقيته صدفة) والصواب (لقيته مصادفة) ، لأن الفعل (صادف).

● وقولهم : (الطابق الأول من المبنى) والصواب (الطبقة الأولى من المبنى) •

● وقولهم : للعصبة الشريرة (طغمة) والصـواب (الطغام) واحـدة (طغامة) كالنعامة والنعـام وهي في الأصل تعني أراذل الطير والسباع •

● وقولهم : (أصابه كلل) والصواب (أصابه كلال) •

● وقولهم : (لثة الاسنان) بتشديد الثاء والصواب بكسر اللام وتخفيف الثاء •

● وقولهم : (العرض مصان) والصواب (العرض مصون) •

● وقولهم : (زوجي المصون) والصواب (زوجي المصونة) •

● وقولهم : (يجب ملافاة هذا الأمر) والصـواب يجب تلافي هذا الأمر ، ففي اللغة (تلافى) وليس (لافى)

● وقولهم : (هو موشك على الشفاء) والصواب (يوشك أن يشفى) •

● وقولهم (جاء لوحده) والصواب (جاء وحده).

● وقولهم : (هو وريث فلان) والصواب (هو وارث فلان).

● وقولهم : (فلان متوعك) والصواب (فلان وَعِك وزن طَرِب أو موعوك وزن مفعول من وعكه الشيء إذا آلمه .

● وقولهم (فلان مذهول) والأفصح أن يقال (ذاهل) نقول (ذَهَل عن الأمر من باب قطع ذَهْلاً فهو ذاهل) .

● وقولهم : لجنة تعضيد النشر والصواب (لجنة تأييد النشر) أو (لجنة عَضْد النشر) فالفعل ثلاثي مخفف (عضده) من باب (نصر) أي أعانه أما (عضّد) الرباعي فيأتي في مثل قولنا (رمى الصياد السهم فعضّد تعضيداً إذا ذهب يمنة ويسرة ولم يصب الهدف) .

● وقولهم : (فلان رهيب) وهي كلمة عامية والأولى (فلان مرهوب) أي مخوف يخافه كل من يراه يقال (رهبت فلاناً) من باب (علم) .

● وقولهم (هذا الحزب منحل وهذه الجمعية منحلة) والصواب (محلول) و (محلولة) لأن وزن (انفعل) يمثل رغبة الفاعل في الفعل إرادية كانت أو طبيعية نحو (انطلق فلان) و (انصرف) و (انقشع الظلام) و (انكسر الغصن) ، أما الحزب والجمعية فان قيامهما يبطل بأمر آمر •

● وقولهم (أمر هام) والصواب (أمر مهم) لأن (الهامّ المحزن) أما (المهم) هو الذي يبعث الهمة في الانسان •

ب ــ جمعه :

ومما يتصل بتحريف صياغة الاسم ما عرض لجموع الاسماء من تحريف ، أو ما طرأ على استعمالها من خطأ ، وسنكتفي بضرب بعض الامثلة على هذه الظاهرة ، منها :

● قولهم (تباع الملابس في المحلات التجارية) والصواب (في المحالّ التجارية) لأن (محل) وزنها (مَفْعَل) وما كان على هذا الوزن يجمع على (مفاعل)

ومثلها (مقرّ ومقارّ) بتشديد الراء (وممر وممارّ) بتشديد الراء أيضاً وليس (مقرات وممرات) •

● وقولهم (المساوىء) بالهمزة والصواب (المساوي) بدون همز ، يقال (بدت مساويه) أي عيوبه ، وواحد (المساوي) مساءة وأصلها (مَسْوَأة) وزن (مَرْحَمة)•

● وقولهم (هم أحفادي) والصواب (هم حفدائي) لأن مفرده (حفيد) مثل (كريم وكرماء وظريف وظرفاء)• وأما (الحافد) فيجمع على (حَفَدة) كساحر وسحرة •

● وقولهم : (وضع الورد في آنية) والصواب (وضع الورد في إناء) لأن (الآنية) جمع (إناء) وأما (أواني) فجمع (آنية) أي جمع الجمع • ومنه قولهم (يزورنا بين آونة وأخرى) والصواب (يزورنا بين آن وآخر) لأن (الآونة) جمع (أوان) •

● وقولهم : (حاجيات) والصواب (حاجات) •

● وقولهم : (عيون خضراء) والصواب (عيون خُضْر) لأن الصفه إذا كانت على (أفعل فعلاء) لم يجز أن نصف الجمع بالمفرد منها ، ففي القرآن (غرابيب سود) و (عاليهم ثياب" سندس خُضْر) وأما إذا كان الوصف على غير هذه الصيغة جاز وصف الجمع بالمفرد منه ، كقولهم (أيام معدودة) •

● وقولهم (خضروات) والصواب (خضراوات) •

● وقولهم : (خراف) في جمع خروف والصواب (أخرفة) و(خرفان) •

● وقولهم (يترفع فلان عن السفاسف) والصواب (يترفع فلان عن السفساف من الأمور) •

● وقولهم : شبيبة في جمع (شاب) والصواب (شباب) والشبيبة سن الشباب •

● وقولهم : (طرق) في جمع (طريقة) والصواب (طرائق) لأن الاولى جمع (طريق) •

● وقولهم (علائم) جمع (علامة) والصواب علامات.

● وقولهم : (العرب غيورون) والصواب (العرب غُيُر) بضمتين ومثله قوم" غُفُر وصُبُر وقُنُع وشُكُر في جمع (غفور) و (صبور) و (قنوع) و (شكور) .

● وقولهم : (زج الصهاينة المناضلين في الأقبية السجون) والصواب في (الأقباء) لان مفرده (قَبْو) وما كان على هذا الوزن يجمع على (أفعال) نحو (بَهْو) و (أبهاء) و (نَوْء) و (أنواء) .

● وقولهم (هؤلاء أعداء ألداء) والصواب (هؤلاء أعداء لُدّ) لأن المفرد (ألد) والمفردة (لدّاء) وما كان على (أفعل فعلاء) جمع على (فُعْل) . قال تعالى في سورة مريم (وتنذر به قوماً لُدّاً) .

● وقولهم : (وديان) والصواب (أودية) .

● وقولهم : (مدراء المدارس) والصواب (مديرو المدارس) .

● وقولهم (مصائر الأمم ومكائد الأعداء)والصواب (مصاير الامم ومكايد الاعــداء) ومثلها (مكـــاين) و (مصايد) لأن (الياء) في هذه الكلمات جميعهـــا أصلية لا زائدة ، ولذا لا تقلب همزة عند الجمع • كما في قولنا (قبيلة وقبائل) و (صحيفة وصحائف)•وقد شذ جمع (مصيبة) على (مصائب) و (منارة) على (منائر) وكان الأصل أن يقال في جمعها (مصاوب) و(مناوِر) •

● وقولهم : مشاغل والصواب (شواغل) أو(أشغال) أما (مشاغل) فجمع (مشغل) وهو مكان الشغل •

● وقولهم : إطار وإطارات وعيار وعيارات والصواب أطُر وأعيرة أو عُيُر ، لأنهما ليسا خماسيين حتى يجمعا جمع مؤنث سالما •

● وقولهم : (نشاطات) و (أنشطة) و (نجاحات)، ومن المعلوم أن المصدر حدث ، والحدث ومنه الفعــل لا يجمع ، ولكنه في العربية قــد يخرج الى الاســمية فيسوغ إذ ذاك جمعــه كقولنـــا (فتح) و (فتوح)

و (منازعه) و (منازعات) ومنه قولـه تعالى (فيهن خيرات حسان) .

● وقولهم : (نقاط) بضم النون وهو جمع (نقطه) والصواب (نقاط) بكسر النون . وكل اسم على هذا الوزن يجمع على (فِعال) وعلى (فُعَل) أي (نُقَط) أما (فُعال) بضم الفاء فليس من أوزان الجموع .

● وقولهم : (نوايا) في جمع (نية) والصواب (نيّات) .

● وقولهم : (أعتاب) نحو (البلاد على أعتاب انتخابات) والصواب (عَتَبات) وعَتَب بفتحتين جمع (عَتْبة) .

وقد عرض التطور كذلك لدلالة بعض الأسماء ، فاستعملت في غير ما وضعت له في أصل معناها اللغوي ، من ذلك :

● قولهم : (وقفت أمامه) مقابل (وقفت تجاهه أو قُبالته أو بازائه) . ذلك لأن من أراد أن يعرف

أصل معنى (أمام) فليتذكر وقوف الإمام في الصلاة ، فالإمام يولي المصلين ظهره ولا يستقبلهم ، ولكن معناها هذا تطور فصارت تعني (تجاه) أو (قُبالة) .

● وقولهم (مبدأ نبيل) مقابل (عقيدة نبيلة) ، ذلك لأن (مبدأ) تعني في أصل وضعها اللغوي اسم مكان أو زمان من الفعل الثلاثي (بدأ) ، ثم تطور معناها فصارت بمعنى (العقيدة) أو (المذهب) .

● وقولهم : (باقة زهر) مقابل (طاقة زهر) ، ذلك لأن (باقة) تعني أصلاً الحُزمة من البقل ، ثم صارت تستعمل لما تستعمل له كلمة (طاقة) .

● وقولهم (رجل بسيط) وهم يريدون (مغفل) أو (ساذج) . ذلك لأن (بسيط) تعني في أصل وضعها اللغوي عدة معان منها (الارض الواسعة) و (خلاف المركّب) أي ما لا تعقيد فيه ، ثم طرأ على معناها تطور فصارت تطلق على (الساذج) أو (المغفل).

● وقولهم : (هو بمثابة صديقي) أي (بمنزلة

صديقي) أو (مثل صديقي) • و (المثابة) تعني أصلاً المكان الذي يثاب اليه المرة بعد الاخرى ، ثم تطورت الى المعنى المشار اليه •

● وقولهم : (نجح حوالي عشرة طلاب) مقابل (نجح نحو عشرة طلاب) ، ذلك لأن (حوالي) تفيد في أصل وضعها اللغوي ظرف المكان ، إذ يقال (جلست حوالي الشيء أو حوله) ، ثم تطور معناها •

● وقولهم : (تأخر فلان حيث لم يجد سيارة) مقابل (تأخر فلان إذ لم يجد سيارة) ، ذلك لأن (حيث) تفيد أصلاً الظرفية المكانية ، ولا تفيد التعليل ، نقول (جلست حيث جلس صديقي) •

● وقولهم : (أجبرته ظروفه المالية على كذا) مقابل (أجبرته أحواله المالية على كذا) ، ذلك لأن (ظروف) تعني أصلا جمع (ظرف) وهو (الوعاء)•

● وقولهم : (فلان حَسَنُ المعشر) مقابل (فلان حَسَن العِشرة) وذلك لأن (المعشر) تعني أصلا فيما

تعني (الجماعة) وجمعها (معاشر)•

● وقولهم : (بلغت تكاليف الطعام كذا) مقابل (بلغ ثمن الطعام كذا) ذلك لأن (تكاليف) جمع (تكليف) ومعناها الاصلي المشقة والقسر ، قال زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

● وقولهم : (حوادث فلسطين المريرة) مقابل (حوادث فلسطين المرة) لأن (المريرة) تعني أصلاً فيما تعني الحبل الشديد الفتل •

● وقولهم (تلهّف لرؤيته أو عليها) مقابل (اشتاق الى رؤيته) و (اللهف) تعني في أصل وضعها الحزن والتحسر والغيظ •

● وقولهم : (ان عامل المجاملة ليس وارداً هنا) مقابل (ليس جائزاً) أو (ليس مقبولاً) ، لأن (وارد) اسم فاعل من (ورد) •

● وقولهم (غصن يانع) وهم يريدون (غصن

غض) ، ذلك لأن (يانع) تعني أصلاً (ناضج) ، وقد (أينع التمر) فهو (يانع) أي (نضج) ، وحان قطافه .

د ــ دقته :

وكما فقد الفعل دقة التعبير عن معناه ، فوضع أحياناً في غير موضعه ، كذلك عدم الاسم الدقة، فسيق لغير المعنى الذي وضع له في أصل اللغة . من ذلك

● قولهم : (كتاب شيّق) وهم يريدون (كتاب شائق) ، أما الأولى فلا تعبر عن هذا المعنى . وإنما تعني (المشتاق) ، قال المتنبي :

ما لاح برق أو ترنم طائر

إلا انثنيت ولي فؤاد شيّق

● وقولهم : (يناضل ضد الاستعمار) وهم يريدون (يناضل الاستعمار) أو يحاربه أو يكافحه . ان كلمة (ضد) في التعبير المذكور آنفاً تجعل المعنى غير دقيق ، بل تفسده ، وتؤدي به الى خلاف ما يقصده المتكلم . فـ (الضد) هو (المخالف) و(يناضل ضد الاستعمار)

معناه (يناضل مخالف الاستعمار) ومن يفعل هذا هو مؤيد للاستعمار • ومن ذلك قولهم (لفق ضده تهمة) مقابل (لفق عليه تهمة) •

● وقولهم (ألقى الرئيس خطاباً) وهم يريدون (ألقى الرئيس خطبة) وكلمة (خطاب) تعني أن يشافه أحد الشخصين الآخر •

● وقولهم : (يفعل ذلك من أجل الصالح العام) وهم يريدون (من أجل المصلحة العامة) ، لأن (الصالح) ضد (الطالح) •

● وقولهم (هذا الأمر قاصر على فلان) وهم يريدون (هذا الأمر مقصور على فلان) ، وواضح أن (قاصر) تعني فيما تعني (عاجز) ، ولا يكون التعبير بها عن المعنى المراد هنا دقيقاً •

● وقولهم : (تحية عاطرة) وهم يريدون (تحية عطرة) ، لأن (عاطر) هو بائع العطور •

● وقولهم : (تنقلات الموظفين) وهم يعنون (نقول

الموظفين) أو (تَنقلاتهم) لأن (التنقل) مصدر (تنقّل) أي (انتقل من مكـــان الى آخر بحسب رغبته عـدة مرات) ، وواضح أن تنقلات الموظفين ليست برغبتهم، ولذا ان الصواب (نقول) و(نقلات) جمع (نقلة) كجمع (الطلعة) على (طلعات) و(حملة) على (حملات) .

● وقولهم : أصابه (نزيف) حاد وهم يعنون (نَزْف) لأن النزيف الشخص الذي سال دمه .

ثالثاً : التراكيب

وشمل التطور هذا المستوى من العربية المعاصرة، وسنورد هنا جانباً منه :

● أيهما أفضل العلم أم المال والصواب أيما أفضل العلم أم المال . وذلك لأن (هما) في (أيهما) ضمير يعود الى اسم ظاهر متأخر عنه لفظاً ورتبة عوداً غير جائز.

● هل محمد في الدار أم غيره والصواب أمحمد في الدار أم غيره ، لأن أم تأتي في سياق همزة الاستفهام.

● أمحمد في الدار أم في المدرسة والصواب أمحمد في الدار أم خالد • ولكن نقول : أفي الدار محمد أم في المدرسة •

● ذهبا سوية والصواب ذهبا معاً ، لأن (السوية) مؤنث (سويّ) وليس هذا موضع استعمالها •

● كسر سن فلان والصواب كسرت سن فلان ، لأن (السن) مؤنثة •

● فعله رغم أنف فلان والصواب فعله على الرغم من أنف فلان وعلى رغم أنفه وبرغم أنفه ، أما نصب (رغم) فلا وجه له • وإن وردت في الشعر منصوبة فللشعر لغته •

● ذكرت مصادر موثوقة والصواب ذكرت مصادر موثوق بها •

● حبذا لو حصل لي كذا والصواب أود لو حصل لي كذا لأن (لو) لا تفيد المصدرية إلا بعد فعل يفيد التمني•

● لا أدري إن كان نجح أو لا والصواب لا أدري أنجح أم لم ينجح .

● لا أعلم ما إذا كان مسافراً والصواب لا أعلم أكان مسافراً .

● أنا واثق مما أقول والصواب أنا واثق بما أقول .

● جاء ياسر ثم جاء هيثم بعد ذلك والصواب جاء ياسر ثم هيثم . وواضح أن (ثم) تغني عن تكرار (جاء) وعن عبارة (بعد ذلك).

● لا يرجى شفاؤه طالما هو ممتنع عن شرب الدواء والصواب لا يرجى شفاؤه ما دام ممتنعاً عن شرب الدواء ، لأن (طالما) لا مكان لها في مثل هذا الاستعمال وإنما تستعمل في مثل قولنا (طالما زرت فلاناً) أي كثر ما زرته .

● كلما زادت ثروته كلما زاد تواضعه والصواب حذف (كلما) الثانية من الجملة .

● رأيته أكثر من مرة والصواب رأيته غير مرة ،لأن

(اسم التفضيل) لا مكان له هنا ، إذ المعروف أن المفضل عليه يشارك المفضل بوصف ثم يزيد به عليه ، و (المرة) لا توصف بـ (الكثرة) .

● هذا الأمر بالذات صحيح والصواب هذا الأمر نفسه صحيح .

● أنا كعربيّ والصواب أنا عربياً ، أو أنا بوصفي عربياً .

● دخل عليّ بينما كنت أقرأ والصواب بينما كنت أقرأ دخل عليّ لأن (بينما) تتصدر الجملة .

● فيما كنت أقرأ دخل فلان والصواب حين كنت أقرأ دخل فلان .

● يجب ملاحظة كذا والصواب تجب ملاحظة كذا .

● قد لا ينجح فلان والصواب ربما لا ينجح فلان .

● لا أحب هذا بل ولا أحب مناقشته والصواب لا أحب هذا بل لا أحب مناقشته .

● منذ الساعة الثامنة وحتى التاسعة والصواب حذف (الواو) قبل (حتى) .

● وحتى هذه الحالة لا تصلح والصواب حذف (الواو) لأن (حتى) هنا ابتدائية .

● منذ نشأ وهو مجتهد والصواب هو مجتهد منذ نشأ .

● في طريقه الى القاهرة صرح فلان بكذا والصواب صرح فلان بكذا في طريقه الى القاهرة .

● أمكن لنا أن نفعل كذا والصواب أمكننا أن نفعل كذا .

● تمّ وفي الساعة العاشرة وصول الوفد والصواب وصل الوفد في الساعة العاشرة .

● هي صبورة وشكورة وطموحة والصواب هي صبور وشكور وطموح .

● هذه مستشفى جديدة والصواب هذا مستشفى جديد .

● هذه إحدى المآخذ والصواب هذا أحد المآخذ .

● سواء عليه أحضر أو غاب والصواب سواء عليه

أحضر أم غاب • ولكن نقول : سواء عليه حضر أو غاب ، لأن (أم) لا ترد إلا مع الهمزة •

● أملي فيك كبير والصواب أملي بك كبير •

● إياك الكذب والصواب إياك والكذب •

● إياك أن تكذب والصواب إياك وأن تكذب •

● بدا وكأنه مريض والصواب بدا كأنه مريض •

● المريض في حاجة الى الراحة والصواب بالمريض حاجة الى الراحة •

● هل لم يسافر زيد والصواب ألم يسافر زيد

● هل ان زيداً ناجح والصواب أإن زيداً ناجح •

● هل سيزورنا فلان والصواب هل يزورنا فلان لأن (هل) تخلص المضارع للمستقبل ولا داعي للسين بعدها •

● شوهد العدو يخلي الاصابات والصواب شوهد العدو يخلي المكان من المصابين لأن الاصابة حدث لا يخلى •

● مدير عام مصلحة السينما والصواب مدير مصلحة السينما العام .

● هذا بدل ذاك والصواب هذا بدل من ذاك .

● لم يدر أجاء وسيم أم نعيم والصواب لم يدر أوسيم جاء أم نعيم .

● لا بد من استرداد فلسطين طال الزمن أم قصر والصواب لا بد من استرداد فلسطين سواء أطال الزمن أم قصر أو (طال الزمن أو قصر) .

● انضموا الى بعضهم البعض والصواب انضم بعضهم الى بعض .

● شكوا ببعضهم البعض والصواب شك بعضهم في بعض .

● أرفقت الطلب بكتاب والصواب جعلت الطلب يرافق الكتاب لأن (أرفق) معناه (نفع) أو (رفق) .

● هو ذكي للغاية والصواب هو ذكي جداً .

● تعاهدت الدولتان كلتاهما والصواب حذف

(كلتاهما) لأن (تعاهد) فعل مشاركة لا يقع إلا من جهتين فأكثر .

● للعلاقة التي بين زيد وعمرو والصواب لعلاقة زيد بعمرو .

● له صلة مع فلان والصواب له صلة بفلان ومثل ذلك : له علاقة مع فلان والصواب له علاقة بفلان .

● دخل أثناء الدرس والصواب دخل في أثناء الدرس .

● فلان بطل بكل معنى الكلمة أو بكل ما في الكلمة من معنى والصواب فلان بطل صنديد أو بطل عظيم .

● اشترى الضيعة بأكملها والصواب بكمالها أو بتمامها أو كلها .

● ظننته لأول وهلة طبيباً أو ظننته من أول وهلة طبيباً والصواب ظننته أول وهلة طبيباً .

● فلان يغني لأول مرة في حياته والصواب فلان يغني أول مرة في حياته .

● كلّ عام وأنتم بخير (برفع كل) والصواب كلّ عام أنتم بخير (بنصب كل) إذ لا وجه لرفعها .

● يلزمني كذا من المال والصواب أحتاج الى كذا من المال لأن (لزمني) بمعنى بقي ملازماً لي وليس فيها معنى الاحتياج .

● ضربه عَرْض الحائط والصواب ضربه عُرْض الحائط (بضم العين) لأن العُرض بالضم الوَسْط .

● سبق وأن ، كما وأن والصواب سبق أن ، كما أن.

● اليمين القانوني والصواب اليمين القانونية لأن اليمين بمعنى القسم مؤنث .

● اتخذته كصديق والصواب اتخذته صديقاً .

● والأعجب من ذلك والصواب وأعجب من ذلك أو والأعجب ومثلها والاكثر من ذلك والانكى من ذلك إذ الصواب حذف (الـ) أو حذف (الجار والمجرور).

● تحادث فلان مع فلان والصواب تحادث فلان وفلان .

● لا يهتم سوى بالعلم والصواب لا يهتم بسوى العلم .

● لم تسفر سوى عن كذا والصواب لم تسفر عن سوى كذا .

● يحبون بعضهم والصواب يحب بعضهم بعضا .

● يساعد بعضهم البعض والصواب يساعد بعضهم بعضا .

● لا يجب أن يفعل والصواب يجب ألا يفعل .

● لا أعلم فيما إذا جاء أو لا والصواب لا أعلم أجاء أم لا .

● (أسأله إذا كان يقبل) والصواب (إسأله هل يقبل) .

● الكلمة إياها والرجل إياه والصواب الكلمة نفسها والرجل نفسه .

● مدير عام المكتبات والصواب مدير المكتبات العام

● يوجد بين الناس كثيرون يفضلون كذا والصواب حذف (يوجد) .

● الى بيتنا الكائن في حي كذا والصواب حذف « الكائن » •

● نحيطكم علماً والصواب نعلمكم ونقول (أحاط به علماً) •

● هذه ميناء كبيرة والصواب هذا ميناء كبير (لأنه مذكر من ونى) •

● جنوب البلاد وشمال البلاد والصواب جنوبيّ البلاد وشماليّ البلاد لأن الجنوب والشمال اسمان لريحين معروفتين •

● جلس بين زيد وبين أخيه والصواب جلس بين زيد وأخيه ، أي لا تكرر (بين) إلا إذا أضيفت الى ضمير نحو جلس بيني وبين زيد •

● كان المدرس قاسياً مع طلابه والصواب كان المدرس قاسياً على طلابه •

● اليكم نشرة الأخبار والصواب هاكم نشرة الأخبار لان (اليك) بمعنى (ابتعد) أو (تنحّ) •

● فلان قصر جهوده على الأدب وعلى الأدب وحده. وكلمات (وعلى الأدب وحده) حشو لا فائدة فيه .

● انخرط فلان في الجيش والصواب انتظم فلان في سلك الجيش أو انضم الى رجاله أما (انخرط) فلا تمت بأي صلة لهذا المعنى إذ تستعمل في مثل (خرط العود فانخرط) و (انخرط الرجل ركب رأسه) ، (وانخرط جسمه إذا دق) .

● لا زال فلان غائباً والصواب ما زال فلاناً غائباً لأن (لا) مع الفعل الماضي تفيد الدعاء ، فكأن الجملة الأولى دعاء على فلان بالغياب كما تقول (لا رأى فلان مكروهاً) تريد الدعاء له بالسلامة من المكروه .

● هذه الكتب لا تتناسب وعقول الاطفال وهذا العمل لا يتلاءم وأخلاقكم ، وهذا السلوك يتنافى وطباعكم ، على أن الواو في هذه التعبيرات للمعية ، وهي لا يجوز أن تكون كذلك ، لأن الفعل في كل منها

للمشاركة ، أي يقتضي صدوره عن اثنين • لذا يقال : هذه الكتب لا تتناسب هي وعقول الاطفال وكذا يقال في العبارتين الأخريين أو يقال : هذه الكتب لا تناسب عقول الاطفال •

● ازدحمت المواصلات بالناس وفي هذا التعبير وهمان أولهما أنهم جعلوا المواصلات فاعل الازدحام وفاعله الناس والثاني أن مواصلات جمع (مواصلة) وهو مصدر كالوصال وهو لا يدل إلا على الحدث بخلاف اسم الفاعل الذي يدل على الحدث وفاعله ولذا يقال ازدحم الناس في الموصّلات ، أو امتلأت الموصّلات بالناس ، أو (الموصلات) بالتخفيف •

● الموضوعان مرتبطان ببعضهما ، والصواب : الموضوعان مرتبط بعضهما ببعض •

● سأغيب لوقت قصير ، والصواب : سأغيب وقتاً قصيراً •

● أغلقت المكتبة أبوابها لمدة ثلاثة أيام ، والصواب :
أغلقت المكتبة أبوابها ثلاثة أيام .

● أُعطي للمشروع أهمية كبيرة ، والصواب :
أُعطي المشروعُ أهمية كبيرة .

(٦)

المـادة اللغوية الجـديدة

ان ما سلف من مادة لغوية ، هي مادة قديمة طرأ عليها التطور ، وانحرف بها المعربون عما ينبغي لهـا من صيغة أو دلالة أو سلامة تأليف ، وسنعرض هنا للمادة اللغوية الجديدة ، التي لم تعرفها المعجمات ، ولم يتكلم بها العرب قبل هذا العصر ، وإنما دفع اليها تطور الحياة في العصر الحديث ، وأملاها ظهور معانٍ جـديدة في ميادين العلوم والفنون والاجتماع والسياسة ، وقـد استتبعت هذه المعاني إنشاء مادة لغوية جديدة تعبر عنها، وتفي بنقل دلالاتها .

ولا بد من الاشارة هنا الى أن وسيلة المعاصـرين في إنشاء هذا الجديد اللغـوي لم تعد (الاشتقاق) و (التعريب) ، بمعنى أن المتكلمين اشتقوها اشتقاقاً

جديداً من مادة لغوية قديمة ، أو اقترضوها من اللغات الأجنبية ، بعد أن أدخلوا عليها من التحوير والتبديل ما يجعلها تلائم اللفظ العربي ، أو تجري على سننه .

وما دام الغرض من هذا البحث هو رسم منهج ، أو وضع خطة لدراسة مظاهر التطور في العربية المعاصرة ، فانه ليس من وكدي الاستقصاء أو الافاضة في ضرب الأمثلة ، وإنما سأكتفي بما يوضح الظاهرة ، وينبه على ضرورة درسها ، والاحاطة بها وصفاً وتسجيلا .

ومن الجدير بالذكر أن بعض اللغويين المعاصرين قد وقفوا عند الجديد اللغوي ، وأحصوا طائفة منه ، ومن هؤلاء أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي،ولكنه لم يفرق أحياناً بين الجديد الذي تطور عن المادةاللغوية القديمة بنقص أو زيادة أو انحراف دلالة ، والجديد الذي اشتق من المادة القديمة بعد أن لم يكن ، أو اقتبس من لغات الأمم .

فالكلمات (احتج) و (شجب) و (بسيط) و (خابر) و (دهس) و (صوب) و (انصاع) و (تصفية الخصم) و (الصمود) و (فشل) بمعنى اخفق بدلا من (ضعف) و (النصب) بمعنى الاحتيال بدلا من (العذاب والعسر) و (المؤامرة) بمعنى (الخيانة أو التواطؤ) بدلا من التشاور ومنه (آمروا النساء أي شاوروهن) ، وما يجري مجراها ، فليست من الجديد اللغوي المحض ، وإنما هي مادة لغوية قديمة اشتملت عليها المعجمات ، ونطق بها العرب ، ولكن المعاصرين انحرفوا بها عن دلالاتها ، وأطلقوها على معان جديدة ، فهي إذاً مادة لغوية قديمة عراها التطور، ولحق بها التغير .

وأما الجديد اللغوي الخالص الذي ابتدعه أهل هذا العصر ، وانفردوا باشتقاقه أو التكلم به فقسمان: منه المشتق من مادة عربية قديمة ، ومنه المعرب ، أو المقتبس من اللغات الاجنبية .

فأما النوع الاول فمن الامثلة عليه[٥٧] .

● الجدلية : يقول المعاصرون (بين هذا وذاك علاقة جدلية) أي حتمية . وواضح ان هذه الكلمة جديدة اشتقت من مادة قديمة هي (الجدل) بمعنى قرع الحجة بالحجة .

● حجّم وتحجيم : يقولون (فلان يريد تحجيم فلان) أي تقليل حجمه ، واظهاره على غير ما هو عليه ، ليقلل نفعه أو نشاطه . وواضح أنها مشتقة من (الحجم) على صيغة الرباعي . ولا أرى ما يرى الدكتور إبراهيم السامرائي من أن (حجم) الرباعي محرف عن (حجم) الثلاثي الذي نصت عليه المعجمات وذكرت أن معناه (منع) ، يقال (حجمته عن حاجته) أي منعته ، ويقال (حجمته عن الشيء فأحجم) أي كففته فكف . ذلك لأن (المنع) غير (تقليل الحجم) الذي يقصده المعاصرون من صيغة (حجّم) المضعف .

● تمحور : يقولون (تمحور النقاش حول كذا)

وهذه الكلمة جديدة اشتقت من (المحور) وهي مادة لغويه قديمة •

● رتيب : وهم يقولون (عيش رتيب) وقد اشتقوها من (راتب) أي ثابت كما اشتقوا الفعل (رتب) و (مرتب) •

● ركز : وهم يقولون (ركز في حديثه على كذا) وهو اشتقاق جديد من الفعل (ركز) بمعنى (عزز) •

● المعاصرة والمزامنة والمواقتة : وهي جميعاً كلمات جديدة اشتقت من (الزمن) الذي لم يشتق منه القدماء سوى (أزمن المرض) أي طال عليه الزمن ، واشتقوا (المزامنة) و (الزَّمِن) ، و (الزَّمْنَي) •

● سيّس : وهذه كلمة جديدة اشتقت من الكلمة القديمة (سياسة) بعد أن حوّروا دلالتها فقالوا (تسييس الدين) أي جعله سياسيا •

● مطبات : وهذه كلمة جديدة اشتقت من فعل عامي هو (طب) لحكاية الصوت الذي يحدث من وقوع شيء

على آخر ، ويعنون بـ (المطبات) المرتفعات القليلة الارتفاع التي تحدث للسائرين عثرات •

● عبوة : وهي تنطق على وزن (فُعولة) أو وزن (فَعْلَة) ولا صلة لها بـ (عَبْوُ المتاع تعبئته) ، وهي مادة معجمية •

● ميّع : يقولون (ميّع فلان القضية) أي أذابها أو ألغاها ، وهي مأخوذة من (ماع) أي ذاب •

● هواية : وهي مادة جديدة أخذت من (هَوِيَ) بمعنى أحب وجعلت على وزن مصادر الحرف كالنجارة والتجارة والحدادة واشتقوا كذلك (هاو) وجمعوه على (هواة) والعربية الفصحى لا تعرف غير (هَوٍ) على وزن (فَرِح)•

● التوعية : اشتق المعاصرون (وعّى) المضعف من (وعى) المخفف الذي هو من العربية الفصحى ، واشتقوا كذلك (التوعية) بمعنى (التبصير) •

ومما اشتقوا من كلمات جديدة من المادة اللغوية

القديمة : (الاقتصاد) و(الاشتراكية) و(الشيوعية) و(الانهزامية) و (الانتهازية) و(الايجابية) و(السلبية) و(التأميم) و(القومية) و(التكاتف) و(التحييد)و(المواطن) و(التطور) و(الطليعية) و(الحزبية) و (التصويت في الانتخاب) و (التخطيط) و (العشوائية) و(الشخصية) و (الذاتية) و (الانفعال) و (الجمهورية) و (القابلية) و (العميل والعملاء) و (الفوضوية) و (الرجعية والرجوعية) و (المادية) و (المثالية) وغير ذلك كثير ، وكلها أو جلها تدخل في باب المصطلح .

ومن الامثلة على النوع الثاني أي المقتبس أو المعرب(٥٨) :

الارستقراطية (التي اقترح مصطفى جواد بدلاً منها الاتراف والمترفين) والفرق بعيد بين معنى الكلمتين والاستراتيجية والبروليتارية (العمال) والراديكالية (السياسي المتعنت) ، واللبرالية (الحرية في المشاريع والاعمال فهو ضد الاشتراكية)،والديناميكية والتكتيك

والاوتوماتيك والتقنية (وهي ليست من رجل تقن أي متقن للاشياء وإنما هي من تكنيك أي العلم النظري والتطبيقي) ، والدبلوماسية ، والميتافيزيقية وغير ذلك.

تلك هي طائفة مما جدّ في العربية المعاصرة من مفردات ، وهي كما ترى نوعان : الاول اشتقه المعربون من المادة اللغوية القديمة ، متجاهلين أن المعجم لم يأت به ، وأن النصوص القديمة لم تشتمل عليه ، والثاني اقتبسه المعربون من اللغات الاجنبية ، بعد أن حوّروه، وأدخلوا عليه ما يجعله موافقاً لنطق العرب ، أو جارياً على أوزان كلامهم .

وواضح أن هذه المادة الجديدة بنوعيها يتصل بعضها بالمصطلح الفني الضيق الذي يخص شعبة معينة من شعب المعرفة ، ويتصل بعضها الآخر بمعان مستحدثة جدت في هذا العصر ، ولم يجد المعربون في المادة القديمة ما يعبر عنها .

ومهما يكن فان المعجم الحديث الذي لما يوضع يجب أن يشتمل على هذين النوعين من الجديداللغوي، بل لا بد لهذا المعجم أن يتعدد ويتنوع ، فواحدللمصطلح العام الذي يخص المثقفين عامة ، وآخر لعلم السياسة وثالث لعلم الاجتماع ورابع لعلم اللغة وخامس للنقد الأدبي وسادس للرياضيات وهكذا .

الهوامش

(١) مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة (بحث الدكتور كمال بشر) ٠
(٢) نفسه ٠
(٣) المصدر السابق ٠
(٤) خصائص العربية : ٦٧
(٥) بحث الدكتور كمال بشر السابق ٠
(٦) دراسات في علم اللغة (القسم الثاني) : ١٣
(٧) نفسه : ٩ ، ١٠
(٨) نفسه : ١٠
(٩) في البحث الصوتي عند العرب : ٦
(١٠) نفسه ٠
(١١) سر صناعة الاعراب (إبن جني) : ١/٦ ٠
(١٢) في البحث الصوتي عند العرب : ٣١
(١٣) في البحث الصوتي عند العرب : ١٩ـ٢١ ٠
(١٤) عبقري من البصرة (د٠ مهدي المخزومي) : ٣٦
(١٥) نفسه ٠
(١٦) عبقري من البصرة (د٠ مهدي المخزومي) :٣٦،٣٧
(١٧) نفسه ٠
(١٨) نفسه : ٣٧
(١٩) في البحث الصوتي عند العرب : ٣٢

(٢٠) كلام العرب (د٠ حسن ظاظا) : ١٦
(٢١) في البحث الصوتي عند العرب : ٥٣
(٢٢) نفســه ٠
(٢٣) في علم اللغة العام : ٥٢ وما بعدها ٠
(٢٤) دراسات في علم اللغة : ٨٤
(٢٥) نفسه : ٨٤ ، ٨٥
(٢٦) دراسات في علم اللغة : ٩٤
(٢٧) نفسه : ٩٣ ، ٩٤
(٢٨) دراسات في علم اللغة : ٨٩
(٢٩) نفســه : ١١ ٠
(٣٠) دراسات في اللغة والنحو العربي : ٤٤ ٠
(٣١) نفســه ٠
(٣١) دراسات علم اللغة : ١١ ٠
(٣٢) نفســه : ١٢ ٠
(٣٤) نفسه : ١٣
(٣٥) اللغة والمجتمع : ٩١
(٣٦) أبو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في النحو واللغة : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ٠
(٣٧) الكتاب : ٢/٤٢٦ ٠
(٣٨) الخصائص : ٢/١٤٥ ٠
(٣٩) الخصائص : ٢/١٤١ ٠
(٤٠) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية (د٠عبدالعزيز مطر) : ٢١٣ ٠

(٤١) نفســه : ٢١٤ ٠
(٤٢) الكتاب : ٢/٤٠١ ٠
(٤٣) الصحاح (الجوهري) : مادة (عرد) ١/٥٠٥ ٠
(٤٤) أبو بكر الزبيدي ـ (د٠ نعمة رحيم العزاوي) :٢٧٩
(٤٥) الكتاب : ٢/٣٦٧ ٠
(٤٦) الاشباه والنظائر (السيوطي) : ١/١٩٦
(٤٧) المزهر (السيوطي) : ٢/٥٠٤ ٠
(٤٨) تقويم اللسان (إبن الجوزي) : ١٣٨ ٠
(٤٩) لحن العامة والتطور اللغوي : ٤٨
(٥٠) نفســه : ٤٤ ٠
(٥١) الصاحبي : ٢٠٣ ٠
(٥٢) بحث الدكتور كمال بشر (مظاهر التطور في اللغـة العربية المعاصرة) ٠
(٥٣) مجلة المجمع العلمي العـراقي ، بحث (التحــول والثبات في أصوات العربية) د٠ حســـام النعيمي ، ص٢٦٨ ٠
(٥٤) خصائص العربية : ٦١ ٠
(٥٥) نفســه ٠
(٥٦) خصائص العربية : ٦١ ، ٦٢ ٠
(٥٧) ينظر بحث للدكتور إبراهيم السامرائي نشـــر في مجلة المجمـــع العلمـــي العربي (جـ١ ، مج ٤٠) و (العربية تواجه العصر) للباحث نفسه ، بتصرف٠
(٥٨) المصدر السابق ٠

المصادر :

- أبو بكر الزبيدي الاندلسي وآثاره في النحو واللغة
د. نعمة رحيم العزاوي ، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ، ١٩٧٥ .
- الأشباه والنظائر
السيوطي ، ط٢ ، ١٣٥٩هـ .
- تقويم اللسان
إبن الجوزي ، ط١ ، ١٩٦٦ .
- الخصائص
إبن جني ، ط٢ ، بيروت .
- خصائص العربية
محمد المبارك ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٠ .
- دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)
د. كمال بشر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .
- دراسات في اللغة والنحو العربي .
د. حسن عون ، معهد البحوث والدراسات العربية . ١٩٦٩ .

- سر صناعة الاعراب
إبن جني ، ط١ ، ١٩٥٤ .
- الصــاحبي
إبن فارس ، بيروت ١٩٦٢ .
- الصحاح
الجوهري ، دار الكاتب العربي بمصر .
- عبقري من البصرة
د. مهدي المخزومي ، نشر وزارة الثقافة والاعــلام ، ١٩٧٢ .
- العربية تواجه العصر
د. إبراهيم السامرائي ، الموســـوعة الصغيرة عدد (١٠٥) .
- في البحث الصوتي عند العرب
د. خليل العطية ، الموسوعة الصغيرة عدد (١٢٤) .
- في علم اللغة العــام
د. عبدالصبور شاهين ، ط٣ ، ١٩٨٠ .
- الكتــاب
سيبويه ، ط١ ، ١٣١٦ - ١٣١٧هـ
- كلام العرب
د. حسن ظاظا ، بيروت ، ١٩٧٦ .
- لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة
د. عبدالعزيز مطر ، القاهرة ١٩٦٦ .

اللغة والمجتمع
د٠ علي عبدالواحد وافي ، ط٢ ، ١٩٥١

المجلات العلمية

مجلة المجمع العلمي العربي ، جـ١ ، مجـ ٤٠ ٠
مجلة المجمع العلمي العراقي ، جـ١ ، مجـ ٣٧ ٠

المحتويـــات

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٥ لسنة ١٩٩٠

طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية
تتناول مختلف العلوم
والفنون والآداب

رئيس التحرير:
موسى كريدي
سكرتير التحرير:
ماجد اسد

دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والإعلام

السعر نصف دينار